ذوالقرنين وسد يأجوج ومأجوج

نحن نقص عليك أحسن القصص

السيد هاشم فياض الحسيني

دار الكتاب الاسلامي

ذو القرنين

وسد يأجوج ومأجوج

بسم الله الرحمن الرحيم

ذو القرنين

وسد يأجوج ومأجوج

تأليف

السيد هاشم فياض الحسيني

مؤسسة

دار الكتاب الإسلامي

جميع حقوق الطبع محفوظة و مسجلة للناشر

الكتاب ..... ذوالقرنين

المؤلف ..... السيد هاشم فياض الحسيني

الناشر..... دارالكتاب الاسلامي

الطبعه ..... الاولى ١٤٢٥ هـ. ق / ٢٠٠٤ م

المطبعه..... مطبعة السرور

عدد النسخ ..... (٣٠٠٠) نسخه

المقدمة..... ٥

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تحتوي هذه الرسالة علىٰ دراسة تاريخية مفصّلة لحياة ذي القرنين التي كانت ولا تزال مثار اختلاف المفسرين والمؤرخين، والمؤسف في الأمر أنّ هذه الشخصية لم تظفر بحصة وافرة من البحث والدراسة. فراودتني فكرة تأليف كتاب أتناول فيه حياة ذي القرنين بشكل مفصّل، فقمت بعد التوكل علىٰ الله تبارك وتعالىٰ بتحضير ما يستند عليه البحث من المصادر المعتبرة وقد تجمع لديّ (بحمد الله تعالىٰ) جملة وافرة من الأبحاث المهمة بحيث تصلح أن تكون نواة لكتاب مفيد وفريد في آن واحد.

وقبل أن أختتم مقدمتي أود أن أشير إلىٰ أمر مهم وهو أنّ الموضوع الذي عالجته في هذه الرسالة فيه صعوبات متعددة نظراً

لكثرة الآراء وتعدد الأقوال فيه، ويترتب على ذلك أنني لا أدعي إيفاء الموضوع حقه من البحث والاستقصاء، وإذا صعب عليّ حل معضلة أو مسألة لجهل أو خطأ أرجو من القارىء الكريم أن ينبهني إليها وله مني جزيل الشكر والامتنان.

وختاماً أسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يوفقني لما يحب ويرضىٰ إنّه سميع مجيب، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المؤلف

النجف الأشرف

١٥ / ربيع ٢ / ١٤٢٤ هـ

الفصل الأول

اسمه

سبب تسميته بذي القرنين

عصره وزمانه

ذو القرنين وإبراهيم الخليل

الخضر وذو القرنين

اسمه:

لقد اختلف المفسرون والمؤرخون في اسم ذي القرنين اختلافاً كثيراً وإليك أقوالهم في ذلك:

قال اليعقوبي: إنّ ذا القرنين هو الاسكندر بن فيليفوس... وكان معلمه أرسطو طاليس الحكيم، ويؤيد هذا القول مجموعة من المصادر(١).

وقيل: إنّ اسمه: مزربان بن مرزبة اليوناني من ولد يافث بن نوح(٢).

وقيل: هو أبو الكرب شمر يرعش بن أفريقيس الحميري(٣).

ويرىٰ بعض المؤرخين أنّ اسم ذي القرنين هو الصعب بن الحارث بن الرائش بن ذي مراثد بن عمرو الهمال بن ذي مناح بن عاد

---

١ ـ تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ١٠٤، تاريخ الطبري: ج ١، ص ٣٧٧، والسيرة النبوية: ج ١، ص ٣٢٨، مروج الذهب: ج ١، ص ٢٨٨، والآثار الباقية: ص ٣٧، والكامل: ج ١، ص ١٦٠، وتاريخ أبي الفداء: ج ١، ص ٤٠، وتاريخ ابن الوردي: ج ١، ص ٥١، والبداية والنهاية: ج ٢، ص ١٠٤.

٢ ـ السيرة النبوية: ج ١، ص ٣٢٨، وتاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٢، والتعريف والاعلام: ص ٣٦٥.

٣ ـ الآثار الباقية: ص ٤٠، وفتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.

ذي شدد بن عامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام (١).

وروىٰ الشيخ الصدوق في الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «واسم ذي القرنين عبد الله بن الضحاك بن معد»(٢).

وعن عبد الله بن عباس قال: «كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد»(٣).

وقال السهيلي: إنّه رجل من ولد يونان بن يافث اسمه هرمس، ويقال له: هرديس(٤).

وقيل: إنّه أفريدون بن أثفيان الذي قتل بيوراسف بن أندراسف في عهد إبراهيم عليه السلام أو قبله بزمان(٥).

---

١ ـ التيجان: ص ٨١، وتاريخ العرب قبل الإسلام: ص ١٣٩، والمحبر، ٣٦٥، والآثار الباقية: ص ٤٠، وتاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٢، وتاريخ أبي الفداء: ج ١، ص ٤٠، وتاريخ ابن الوردي: ج ١، ص ٥٢، وروضة المناظر: ج ١، ٦٠، والخطط المقريزية: ج ١، ص ٢٤٧، وفتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.

٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٨٢.

٣ ـ البداية والنهاية: ج ٢، ص ١٠٣.

٤ ـ التعريف والاعلام: ص ١٠٨.

٥ ـ تاريخ الطبري: ج ١، ص ٣٦٥، والتعريف والاعلام: ص ١٠٨، وتاريخ ابن الوردي: ج ١، ص ٥٢.

وروى العياشي في تفسيره عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سئل عن ذي القرنين قال: «كان عبداً صالحاً واسمه عيّاش...»[١].

وقيل: إنّ اسمه المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة[٢].

وقال ابن منظور في رد هذا القول: إنّه ليس هو الموصوف في التنزيل وذلك لأنّ المنذر بن ماء السماء كان موجوداً بعد ولادة المسيح بزمن.

وقيل: إنّه أرميا بن حلقيا[٣].

أقول: وهذا أيضاً غير ممكن لأنّ أرميا كان في زمن بخت نصر.

ويرى الدينوري في الأخبار الطوال أنّ ذا القرنين لم يكن الاسكندر بن فيلقوس المقدوني بل كان ابن ابنته، وأنّ أباه هو دارا ابن بهمن، وقد استدل على ذلك بقصة غريبة لا تخلو من خرافة[٤].

أقول: وهناك أقوال أُخر غريبة ونادرة أعرضنا عن ذكرها، لأنّ الوقت أثمن من الإطالة في ذكرها.

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٨.
٢ ـ ملوك الحيرة: ص ١١٢، والاتقان: ج ١٢، ص ١٤٤.
٣ ـ تاريخ الطبري: ج ١، ص ٣٧٦.
٤ ـ الاخبار الطوال: ص ٣٠.

ومن خلال ما ذكرته من الأسماء أمكنني التوصل إلىٰ أنّ اسم ذي القرنين لا يخلو من ثلاثة أسماء: إما أنّه (الصعب)، أو (الاسكندر)، أو (عياش).

أما الاسم الأول: فقد ذكره بعض المفسرين والمؤرخين من أنّ الصعب الحميري هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، واستدلوا علىٰ ذلك بعدة أمور:

الأول: روي عن ابن عباس أنّه سئل عن ذي القرنين، فقال: «هو من حمير» وبما أنّ الصعب كان ملكاً عظيماً في اليمن ومن ولد حمير، إذاً فهو ذو القرنين[١].

الثاني: أنّ ذا القرنين لقب من ألقاب ملوك اليمن لأنّ الاذواء لقب مختص بهم دون غيرهم، وهم الذين لا تخلو أساميهم من ذي شناتر، وذي الكلاع، وذي نواس، وذي جدن، وذي يزن، وغيرهم، فإذا قلنا: إنّ الصعب هو ذو القرنين فهو يشبه أن يكون الحق من بين هذه الأقاويل[٢].

الثالث: قال المقريزي: إنّ التحقيق عند علماء الأخبار أنّ ذا

---

١ ـ التيجان: ص ١٠٧، النهاية: ج ٢، ص ١٠٤، الخطط المقريزية: ج ١، ص ٢٤٧.
٢ ـ الآثار الباقية: ص ٤١.

القرنين الذي ذكره الله في كتابه هو عربي واسمه الصعب[١]، ثم ساق نسبه إلىٰ حمير بن سبأ كما ذكرناه سابقاً.

أقول: لقد اعترضت بعض المصادر علىٰ هذه الأمور من عدة جهات:

الجهة الأولىٰ: لا يخفىٰ علىٰ ذوي الاختصاص أنّ أخبار ملوك اليمن فيها اضطراب شديد قلما تجد فيها روايتين متفقتين.

الجهة الثانية: أما أنّ ذا القرنين من ألقاب ملوك اليمن علىٰ وجه الخصوص لا يمكن المساعدة عليه لأنّ الأذواء بصورة عامة ليست مختصة بملوك اليمن بل هو لقب يمكن أن يطلق علىٰ غيرهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضباً**﴾ فذو القرنين لا أحتمله أنه لقب خاص بملوك اليمن علىٰ وجه الحصر.

الجهة الثالثة: لقد دلت بعض الروايات أنّ ذا القرنين كان في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان الخضر عليه السلام وزيره ومستشاره، وقد أيدت ذلك أغلب المصادر المعتبرة، وعليه فلا يمكن أن يعتبر ذو القرنين هو الصعب لما بينهما من اختلاف في العصر والزمان.

والدليل علىٰ ذلك أنّ السلسلة النسبية للصعب الحميري لا

---

١ ـ الخطط المقريزية: ج ١، ص ٢٤٧.

تؤيد أنه عاش في زمن إبراهيم عليه السلام فتأمل.

الجهة الرابعة: أما ما روي عن ابن عباس فهو مرسل وضعيف من ناحية السند والدلالة فلا يمكن الاعتماد على هذه الرواية.

الجهة الخامسة: لم يذكر أحد من المؤرخين أو المفسرين أنّ الصعب الحميري وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج فضلاً عن بناء السد عليهم.

وقال بعض المؤرخين: «ليت شعري ما هو اليمن حتى يكون بها من الجنود بحيث يمكن بهم قطع هذه المسافة الطويلة ومواجهة العدو واحتلال المدن المنيعة واليمن من أقل البلاد عدداً وعدة وهذا مما تأباه العقول وتمجه الأسماع أنّ الصعب أو غيره ملك بلاد فارس والهند والصين...».

أما الاسم الثاني: فقد ذكر بعضهم بأنّ الاسكندر هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، واستدلوا على ذلك برواية قرب الاسناد ورواية الدر المنثور[1].

ومضافاً إلى ذلك أنّ الإسكندر قد بلغ ملكه أقصى المغرب والمشرق، وأنّه أخضع جميع الممالك لحكمه فقد غزا بلاد فارس وقد

---

١ ـ الميزان: ج ١، ص ٣٨٢.

قتل ملكهم دارا بن بهمن غدرا، وقصد الهند والصين، وغزا الأمم البعيدة، وكان مع ذلك يعد من تلامذة الحكيم أرسطو طاليس، وكان الاسكندر يستشيره في مهمات الأمور، وهو الذي بنا مدينة الاسكندرية بمصر.

أما الفترة الزمنية التي عاش فيها الاسكندر فتذكر المصادر المعتبرة بأنّه كان موجوداً قبل الميلاد بنحو ٣٣٠ سنة.

أقول: يمكن مناقشة ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: لقد اختلط الأمر على كثير من المؤرخين إذ لقبوا الاسكندر بذي القرنين، وهو غلط محض لأنّ لفظ (ذو) عربية، والاسكندر ليس بعربي كما لا يخفى فهو إما مقدوني أو رومي أو يوناني.

الوجه الثاني: لقد ذكر بعض المؤرخين أنّ الاسكندر غدر بدارا ملك بلاد فارس عندما أغرى حراسه بقتله، فلما قتلوه أمر الاسكندر بقتلهم لكي لا يفتضح أمام الملأ وهذا العمل السيء المشين لا ينطبق على ذي القرنين العبد الصالح والرجل المؤمن بالله واليوم الآخر.

الوجه الثالث: أما الروايتان المذكورتان فهما ضعيفتان من ناحية السند فلا يمكن الاعتماد عليهما مع وجود روايات معارضة أقوى منهما سنداً ودلالة.

الوجه الرابع: ومما يدحض قول من يقول إن الاسكندر هو ذو القرنين ما ذكره بعض المؤرخين بقوله: إنّ مسير الدنيا من المشرق إلىٰ المغرب يقدره علماء الجغرافية بنحو خمسمائة سنة وهي مساحة بين مطلع الشمس إلىٰ مغربها، ولم نجد رواية أو خبر واحد يدل علىٰ أنّ الاسكندر عاش خمسمائة سنة، وقد ذكرت بعض المصادر أنّ الاسكندر كان عمره ستاً وثلاثين سنة، فكيف تم له الاستيلاء علىٰ مشارق الأرض ومغاربها في هذه المدة القليلة من عمره؟!

الوجه الخامس: المشهور عند المؤرخين أنّ الاسكندر كان ملكاً كافراً طاغياً وثنياً ملحداً مشركاً، أما ذو القرنين المذكور في القرآن فقد وصف بأنّه من الرجال الصلحاء المؤمنين بالله واليوم الآخر.

الوجه السادس: أنّ تعظيم الله عزوجل إياه يوجب الحكم بأنّ مذهب أرسطو طاليس حق وذلك مما لا سبيل إليه.

الوجه السابع: أنّه لم يثبت تاريخياً أنّ الاسكندر قام ببناء سد يأجوج ومأجوج.

الوجه الثامن: أنّ المصادر التاريخية مجمعة علىٰ أنّ الاسكندر لم يكن في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام وأنّه لم يجتمع بالخضر عليه السلام في حين أنّ الروايات قد صرّحت بأنّ ذا القرنين كان في زمن إبراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام وزيره ومستشاره.

أما الاسم الثالث: فهو الصحيح، وقد دلت عليه الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فقد صرحت مجموعة من الروايات بأنّ اسم ذي القرنين هو (عيّاش).

وفيما يلي نذكر لك بعضاً من تلك الروايات:

الرواية الأولىٰ: روىٰ العياشي في تفسيره عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سُئل عن ذي القرنين، قال: «كان عبداً صالحاً اسمه عيّاش اختاره الله وابتعثه إلىٰ قرن من القرون الأولىٰ...»(١).

الرواية الثانية: روىٰ الشيخ الصدوق في الخصال، والعياشي في تفسيره عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذو القرنين واسمه عياش...»(٢).

وقال الشيخ الصدوق (أعلىٰ الله مقامه): «كان اسم ذي القرنين عياشاً، وكان أول الملوك بعد نوح عليه السلام ملك ما بين المشرق والمغرب»(٣).

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٨.
٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٨١، والبرهان: ج ٣، ص ٤٨٢.
٣ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٥، والبرهان: ج ٣، ص ٤٨٦.

النتيجة:

أنّ اسم ذي القرنين هو عيّاش اعتماداً علىٰ ما صرحت به تلك الروايات، وكان عياش ملكاً قديماً، عاش في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام حسب ما ذكرته المصادر التاريخية المعتبرة.

سبب تسميته بذي القرنين:

لقد اختلف المؤرخون والمفسرون وأصحاب السير في السبب الذي من أجله سمي ذو القرنين بهذا الاسم، وإليك أقوالهم في ذلك:

فالبيروني يرىٰ أنّ ذا القرنين إنّما لُقب بهذا اللقب لأنّه بلغ قرني الشمس أي مطلعها ومغربها كما لقب (أردشير بن بهمن) بطول اليدين لنفوذ أمره حيث أراد[١].

وروىٰ الزمخشري في الكشاف عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «سمي ذو القرنين لأنّه طاف قرني الدنيا»[٢].

وروي إنّما سمي ذو القرنين بهذا الاسم لأنه له قرنان أجوفان

---

١ ـ الآثار الباقية: ص ٣٧.

٢ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٥٨٥.

في رأسه، وقد نبتا له بسبب ضرب قومه علىٰ موضعهما[١].

وقيل: إنّما سمي بذلك لأنّه انقرض في زمانه قرنان من الناس وهو حي[٢].

وقيل: إنّه رأىٰ في المنام كأنه دنا من الشمس حتىٰ أخذ بقرنيها شرقها وغربها فلما قص رؤياه علىٰ قومه سمّوه ذا القرنين[٣].

وقيل: إنّما سمي بهذا الاسم لأنّه ملك المشرق والمغرب[٤].

وقيل: إنّما سمي بذلك لأنّ له ضفيرتين من شعر[٥].

وروي أنّ سبب تسميته بهذا الاسم لأنّ قومه ضربوه علىٰ قرنه الأيمن، فأماته الله خمسمائة عام، ثم بعثه إليهم بعد ذلك فملك المشارق والمغارب[٦].

وقيل: إنّما سمي بذلك لأنّه بلغ قطري الأرض[٧].

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٨.
٢ ـ زاد المسير: ج ٥، ص ١٨٣، وفتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.
٣ ـ النهاية: ج ٤، ص ٥٢، بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٨٣.
٤ ـ النهاية: ج ٤، ص ٥٢.
٥ ـ زاد المسير: ج ٥، ص ١٨٣.
٦ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٨، أخبار الدول: ج ١، ص ٤٥٣.
٧ ـ فتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.

وقيل: إنّه كان كريم الطرفين من قبل أمه وأبيه فلذلك سمي بذي القرنين[١].

وقيل: إنّه سمي بذلك لأنّه دخل في النور والظلمة[٢].

وقيل: إنما سمى بهذا الاسم لأنّه ملك بلاد فارس والروم[٣].

وقيل: سمي بذي القرنين لأنه كان يقاتل بيديه وركابيه جميعاً[٤].

وقيل: إنّ سبب تسميته بذي القرنين لأنّه كان في مقدم شعره شبه القرنين من اللحم[٥].

وقيل: إنّما سمي بذلك لأنّه كان يلبس تاجاً له قرنان[٦].

وقيل: إنّما سمي بهذا الاسم لأنه أعطي علم الظاهر والباطن[٧].

وقيل: إنّ أول من سماه بهذا الاسم هو الخضر عليه السلام عندما التقى

---

١ ـ زاد المسير: ج ٥، ص ١٨٣، فتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.
٢ ـ زاد المسير: ج ٥، ص ١٨٣.
٣ ـ زاد المسير: ج ٥، ص ١٨٣، والاتقان: ج ٢، ص ١٤٤.
٤ ـ فتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.
٥ ـ أخبار الدول: ج ١، ص ٤٥٣.
٦ ـ فتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.
٧ ـ فتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦.

به في بيت المقدس[١].

أقول: الصحيح في سبب تسميته بهذا الاسم هو ما صرحت به الروايات الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فقد روىٰ الثقة علي بن إبراهيم في تفسيره عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال وهو علىٰ منبر الكوفة: «... وإنّما سمي ذو القرنين لأنّه دعا قومه إلىٰ الله عزوجل فضربوه علىٰ قرنه فغاب عنهم حيناً، ثم عاد إليهم فضربوه بالسيف علىٰ قرنه الآخر، وفيكم مثله»[٢].

وروىٰ الشيخ الصدوق عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ ذا القرنين... أمر قومه بتقوىٰ الله فضربوه علىٰ قرنه فغاب عنهم زماناً ثم رجع إليهم فضربوه علىٰ قرنه الآخر وفيكم من هو علىٰ سنته»[٣].

وروىٰ الطبري في تفسيره عن أبي الطفيل قال: سمعت علياً عليه السلام قال: «بعثه الله إلىٰ قومه فضربوه ضربتين علىٰ رأسه، فسمي

---

١ ـ التيجان: ص ٨٥.
٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٨، ص ١٨٠.
٣ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٤.

ذا القرنين، وفيكم اليوم مثله»[١].

أقول: لقد قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «وفيكم اليوم مثله»، وفي رواية أخرىٰ أنه قال: «وفيكم من هو علىٰ سنته» ويقصد بذلك نفسه عليه السلام ذلك لأنه بأبي هو وأمي قد ضُرب علىٰ رأسه الشريف ضربتين الأولىٰ في يوم الخندق، والثانية في مسجد الكوفة.

عصره وزمانه:

لقد ذكرت الروايات أنّ ذا القرنين عاش في القرون الأولىٰ بعد نبي الله نوح عليه السلام والأرجح أنه عاش في زمن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد روي أنّ ذا القرنين عاش في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان الخضر مستشاره ووزيره وصاحب لوائه الأعظم[٢].

وتذهب بعض المصادر إلىٰ أنّ ذا القرنين عاش في زمن داود عليه السلام [٣]، وقيل: إنّه عاش بعد زمن موسىٰ بن عمران عليه السلام [٤].

أقول: وربما يكون في هذا إشارة إلىٰ الاسكندر الذي عاش قبل

---

١ ـ تفسير الطبري: ج ١٦، ص ٩.
٢ ـ تفسير القرطبي ج ١١، ص ٤٧، ومجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٩٥، وتاريخ الخميس، والبرهان: ج ٣، ص ٤٨٣.
٣ ـ الميزان: ج ١٦، ص ٣٦١.
٤ ـ تفسير القرطبي: ج ١، ص ٤٧.

ميلاد المسيح بنحو ٣٣٠ سنة والله العالم.

وعن الحسن البصري أنّه قال: كان ذو القرنين ملكاً بعد نمرود بن كنعان[١].

وقيل: إنّه كان بعد ثمود كما صرح بذلك ابن عساكر في تاريخه.

أقول: الصحيح أنّ ذا القرنين عاش في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام ويؤيد ذلك ما ذكرته بعض الروايات والمصادر التاريخية التي صرحت بأنّ الملوك الذين عاصروا إبراهيم الخليل عليه السلام هم ثلاثة: «النمرود بن كنعان، وذو القرنين، وافريدون بن أثفيان»[٢].

وعليه فإنّ ذا القرنين كان في زمن إبراهيم عليه السلام وأنّه التقىٰ به قرب بيت الله الحرام وآمن به واتبعه وطاف معه البيت، وهو الذي بنىٰ السد علىٰ يأجوج ومأجوج، وطاف بالبلاد وملك المشرق والمغرب وكان الخضر عليه السلام وزيره ومستشاره وصاحب لوائه[٣].

---

١ ـ تاريخ الخميس: ج ١، ص ١٠١.

٢ ـ تاريخ الطبري: ج ١، ص ٣٦٥، وروح المعاني: ج ١٦، ص ٢٧.

٣ ـ التعريف والاعلام: ص ١٠٨، وحياة الحيوان: ج ٢، ص ٤٠٥، تاريخ الخميس: ج ١، ص ١٠٠، وأخبار الدول: ج ١، ص ٢٣٠، وبحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٥.

ذو القرنين وإبراهيم الخليل عليه السلام:

لقد ذكرت بعض الروايات ومعظم المصادر التاريخية أنّ ذا القرنين كان في زمن إبراهيم عليه السلام، وأنّه اجتمع معه في مناسبات عديدة.

فعن الشيخ الصدوق في العلل، والشيخ الطوسي في الأمالي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «أول اثنين تصافحا علىٰ وجه الأرض ذو القرنين وإبراهيم الخليل استقبله إبراهيم فصافحه»(١).

وروىٰ الشيخ الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حج ذو القرنين في ستمائة ألف فارس، فلما دخل الحرم شيعه بعض أصحابه إلىٰ البيت فلما انصرف، فقال: رأيت رجلاً ما رأيت رجلاً أكثر نوراً ووجهاً منه، قالوا: ذاك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، قال: أسرجوا فأسرجوا ستمائة ألف دابة في مقدار ما يسرج دابة واحدة، قال: ثم قال ذو القرنين: لا بل نمشي إلىٰ خليل الرحمن، فمشىٰ ومشىٰ معه أصحابه حتىٰ التقيا، قال إبراهيم عليه السلام: بم قطعت الدهر؟ قال: بإحدىٰ عشرة كلمة: سبحان من هو باق لا يفنىٰ، سبحان من هو عالم لا ينسىٰ،

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٨٢، ونور الثقلين: ج ٣، ص ٢٩٤.

سبحان من هو حافظ لا يسقط، سبحان من هو بصير لا يرتاب، سبحان من هو قيوم لا ينام، سبحان من هو ملك لا يرام، سبحان من هو عزيز لا يضام، سبحان من هو محتجب لا يرىٰ، سبحان من هو واسع لا يتكلف، سبحان من هو قائم لا يلهو، سبحان من هو دائم لا يسهو»[١].

وروي عن عطاء بن السائب أنه قال: «إنّ إبراهيم عليه السلام رأىٰ رجلاً يطوف بالبيت، فسأله: من أنت؟ فقال: من أصحاب ذي القرنين، قال: وأين هو؟ قال: بالابطح، فتلقاه واعتنقه، فقيل لذي القرنين: لمَ لا تركب؟ قال: ماكنت لأركب، وهذا يمشي، فحج ماشياً»[٢].

وفي رواية أخرىٰ: أنّ ذا القرنين حج ماشياً، فلما سمع إبراهيم بقدومه تلقاه ودعا له وأوصاه بوصايا، وأتي له بفرس ليركب، فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل، فعند ذلك سخر له السحاب، وطويت له الأسباب وبشره إبراهيم بذلك[٣].

وذكر ابن عساكر قدوم ذي القرنين إلىٰ بيت الله الحرام فخرج إبراهيم الخليل عليه السلام ليتلقاه، فالتقيا معاً، وتسالما وأوصىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام ذا القرنين بجملة من الوصايا والارشادات[٤].

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٦، ج ٩٣، ص ١٩٢.
٢ ـ تاريخ الخميس: ج ١، ص ١٠٠.
٣ ـ أرشاد العقل السليم بهامش كتاب مفاتيح الغيب: ج ٦، ص ٥٧٢.
٤ ـ تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٤.

وذكر القرماني أيضاً اجتماع ذي القرنين بإبراهيم الخليل بقرب مكة فأعطاه الراية وعانقه وصافحه وقبّل ما بين عينيه، وهو أول من لبس العمامة وكانوا قبل ذلك يلبسون التيجان(١).

وتذكر بعض المصادر التاريخية أنّ إبراهيم عليه السلام تحاكم إليه في بئر، فقد حكي أنّ ذا القرنين لقي إبراهيم لما رحل عن قومه احتفر بئرا في صحراء الاردن للماء لأجل الماشية، وادعىٰ قوم منهم أنّ عرصة البئر في حوزتهم فحاكمها إبراهيم إلىٰ ذي القرنين وهو سائر إلىٰ الشمال بعد منصرفه من الشام فقضىٰ له بالبئر التي احتفرها هناك(٢).

قال السهيلي: الظاهر من علم الأخبار أنّ ذا القرنين كان علىٰ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، ويقال: إنّه هو الذي قضىٰ لإبراهيم عليه السلام حين تحاكم إليه في البئر(٣).

حكىٰ الدياربكري في تاريخه أنّ ذا القرنين قدم مكة فرأىٰ إبراهيم وابنه إسماعيل يبنيان البيت، فقال: ما هذا؟ فقالا: نحن عبدان مأموران بالبناء، قال: فهاتا البينة علىٰ ما تدعيانه، فقامت خمسة أكبش فقلن نشهد أنّ إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران بالبناء، فقال ذو

---

١ ـ أخبار الدول: ج ١، ص ٢٣٠.
٢ ـ تاريخ الطبري: ج ١، ص ٣٦٥، وملوك حمير: ص ٩٨، وبدائع الزهور: ص ١١٨.
٣ ـ التعريف والاعلام: ص ١٠٨، والانس الجليل: ج ١، ص ٥٤.

القرنين: رضيت وسلمت ثم مضى[١].

الخضر وذو القرنين:

لقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير أنّ الخضر عليه السلام كان في زمن افريدون بن أثفيان، وذي القرنين، وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين ووزيره ومستشاره وصاحب لوائه الأعظم، ولم يبعث الخضر في زمن إبراهيم عليه السلام، وإنما بعث في زمن ناشيه بن آموص الذي كان ملكاً على بني إسرائيل ثم بقي إلى زمان موسى بن عمران عليه السلام، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّ صاحب موسى بن عمران هو الخضر»[٢].

وأشهر حادثة جمعت الخضر وذا القرنين هي حادثة ذهابهم للبحث عن عين الحياة وقد روت هذه الحادثة روايات عديدة وبصور متعددة وألفاظ مختلفة.

منها: ما رواه الثقة علي بن إبراهيم في تفسيره أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن ذي القرنين فأجابهم بحديث طويل إلى أن

---

١ ـ تاريخ الخميس: ج ١، ص ١٠٠.

٢ ـ أنظر: تاريخ الطبري: ج ١، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦، البدء والتاريخ: ج ٣، ص ٧٨، والكامل في التاريخ: ج ١، ص ٩٠، وحياة الخضر دراسة وتحليل: ص ٨٢.

قال: «... فقيل له (أي لذي القرنين) إنّ لله في أرضه عيناً يقال لها عين الحياة لا يشرب منها ذو روح إلّا لم يمت حتىٰ الصيحة فدعا ذو القرنين الخضر، وكان أفضل أصحابه عنده، ودعا ثلاثمائة وستين رجلاً ودفع إلىٰ كل واحد منهم سمكة، وقال لهم: اذهبوا إلىٰ موضع كذا وكذا فإنّ هناك ثلاثة مائة وستين عيناً، فليغسل كل واحد منكم سمكته في عين غير عين صاحبه، فذهبوا يغسلون، وقعد الخضر يغسل، فانسابت السمكة منه في العين، وبقي الخضر متعجباً مما رأىٰ، وقال في نفسه: ما أقول لذي القرنين؟

ثم نزع ثيابه يطلب السمكة فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر علىٰ السمكة، فرجعوا إلىٰ ذي القرنين، فأمر ذو القرنين بقبض السمك من أصحابه، فلما انتهوا إلىٰ الخضر لم يجدوا معه شيئاً فدعاه، فقال له: ما حال السمكة؟ فأخبره الخبر، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: اغتمست فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها، قال: فشربت من مائها؟ قال: نعم، قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر: كنت أنت صاحبها[1].

وفي رواية أخرىٰ أنه قال له: «أنت صاحبها وأنت الذي خلقت

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٩، ١٨٠، ورويت أيضاً بطرق أخرىٰ، أنظر ص ١٩٨، وص ١٩٧.

لهذه العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلىٰ النفخ في الصور»[١].

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٢٩٩.

الفصل الثاني

ذو القرنين في القرآن
سبب النزول
تفسير آيات القصة
البحث الروائي
هل كان ذو القرنين نبياً أم لا؟

ذو القرنين في القرآن:

قال الله تبارك وتعالىٰ في سورة الكهف:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً﴾.

سبب النزول:

روي أنّ سبب نزول قصة ذي القرنين أنّ كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث، وعقبة بن أبي معيط إلىٰ أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتىٰ أتيا المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وآله ووصفوا لهم أمره، وبعض قوله فقالوا لهما: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ماكان أمرهم؟ فإنّ لهم أمراً عجيباً، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها.

فأقبلا حتىٰ قدما علىٰ قريش، فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد،، فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن ذلك فجاءه جبرائيل عليه السلام من الله سبحانه وتعالىٰ بسورة الكهف وفيها جواب ما سألوه عن أمر الفتية والرجل الطواف(١).

وروىٰ علي بن إبراهيم القمي في تفسيره أنّه لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف، قالوا له: أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسىٰ أن يتبعه من هو؟ وكيف تبعه؟ وما قصته؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**وإذ قال موسىٰ لفتاه...**﴾، فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بخبر موسىٰ والخضر، قالوا: أخبرنا عن طائف طاف الأرض المشرق والمغرب من هو وما قصته؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**ويسئلونك عن ذي القرنين...**﴾ (٢).

---

١ ـ لباب النقول: ص ١١٤، وسيرة ابن هشام: ج ٢، ص ٢٢٠.

٢ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤.

تفسير آيات القصة[١]:

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ﴾ أي يسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين وسيرته وأخباره.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ أي قال لهم رسول الله ﷺ: سأقرأ عليكم من خبره ذكراً.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ أي بسطنا يده فيها وقوّيناه وملكناه حتىٰ استولىٰ عليها وقام بما يصلحها حيث سخر الله له السحاب ومد له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء.

قوله تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ أي أعطيناه علماً يتسبب به إلىٰ ما يريد.

وقيل: أعطيناه ما يتوصل به إلىٰ مراده وما يبلغ به حاجته.

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ أي فسلك ذو القرنين طريقاً واحداً

---

١ ـ التبيان: ج ٧، ص ٨٥ ـ ٨٦، مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٨٩ ـ ٤٩١، والكشاف: ج ٢، ص ٥٨٠، وزاد المسير: ج ٥، ص ١٨٣ ـ ١٨٥، وفتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨، وروح المعاني: ج ١٦، ص ٢٨ ـ ٣٣.

إلىٰ ما أُريد منه.

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي حتىٰ إذا وصل ذو القرنين منتهىٰ الأرض من جهة المغرب، ولم يرد بذلك أنه بلغ موضع الغروب لأنه لا يصل إليه أحد.

قوله تعالىٰ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي وجد الشمس تغرب في عين الماء كمن رأىٰ الشمس وهي تغرب في البحر، فيظن أنها تغرب في الماء، ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء، والعين الحمئة وهي ذات الحماة وهو الطين الأسود المنتن.

قوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً﴾ أي وجد عند تلك العين أناساً كفاراً.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾ أي فخاطبه الله تعالىٰ علىٰ لسان نبي من الأنبياء أو ملك من ملائكته، أو بطريق الإلهام أن يا ذا القرنين إما أن تعذب القوم الكافرين بالقتل لأنهم لم يؤمنوا بالله وإما أن تأسرهم وتمسكهم فتعلمهم الهدىٰ وتستنقذهم من الضلالة والعمىٰ.

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أي قال ذو القرنين للرسول الذي جاءه بالخطاب السابق.

وقيل: إنّ ذا القرنين خاطب جنده وخواص أصحابه وأتباعه

بقوله: من عصىٰ الله تعالىٰ وأشرك به وأصر علىٰ كفره ولم يقبل دعوتي إلىٰ الله، فسوف نقتله جزاء كفره وضلاله.

وقيل: إنه خاطب الكفار بهذا الخطاب.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً﴾ أي ثم يرجع ذلك الكافر الذي قتلته إلىٰ الله تعالىٰ في يوم القيامة فيعذبه عذاباً منكراً في نار جهنم وهذا العذاب أشد فظاعة من القتل في الدنيا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ أي وأما من آمن بالله تبارك وتعالىٰ وعمل ما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾ أي سنقول له قولاً جميلاً، وسنأمره بالسهل المتيسر الذي لا يشق عليه فعله.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ أي ثم سلك ذو القرنين طريقاً آخر من الأرض ليوصله إلىٰ مطلع الشمس.

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أي حتىٰ إذا وصل ذو القرنين إلىٰ الموضع الذي تطلع منه الشمس.

قوله تعالىٰ: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً﴾ أي وجد ذو القرنين الشمس وهي تشرق علىٰ أناس لا شيء يسترهم من لباس أو بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغيبون في

الأسراب والمياه، وإذا غربت الشمس يظهرون من مكامنهم، وتصرفوا في ما يهمهم لأنّ أرضهم لم يكن فيها جبل أو شجر أو بناء.

قوله تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً﴾ أي علمناه بما كان لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك علماً.

وقيل: أحطناه علماً بما لديه من الأسباب التي سخرها الله له للوصول بها إلىٰ تلك الأماكن البعيدة التي لم يتمكن من الوصول إليها غيره.

البحث الروائي:

روىٰ الثقة علي بن إبراهيم في تفسيره أنه سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: لا نبياً ولا ملكاً بل عبداً أحب الله، فأحبه الله ونصح له، فبعثه إلىٰ قومه فضربوه علىٰ قرنه الأيمن فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثم بعثه الثانية فضربوه علىٰ قرنه الأيسر فغاب عنهم ماشاء الله أن يغيب، ثم بعثه الله الثالثة فمكن الله له في الأرض، وفيكم مثله، فبلغ مغرب الشمس فوجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً قال﴾ ذو القرنين ﴿أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرد إلىٰ ربه فيُعذبه عذاباً نكراً﴾ إلىٰ قوله ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي دليلاً ﴿حتىٰ إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع علىٰ قومٍ

لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ قال: لم يعلموا صنعة الثياب **﴿ثم أتبع سبباً﴾** اي دليلاً[١].

وروىٰ البرقي في المحاسن عن أبي عبد الله في قوله تعالىٰ: **﴿فلما بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾** قال: لم يعلموا صنعة البناء.

وروىٰ العياشي في تفسيره عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر طويل إلىٰ أن قال: «... فلم يبلغ (ذو القرنين) مغرب الشمس حتىٰ دان له أهل المشرق والمغرب، قال: وذلك قوله تعالىٰ: **﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً﴾** فسار **﴿حتىٰ إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾** إلىٰ قوله: **﴿أما من ظلم﴾** ولم يؤمن بربه **﴿فسوف نعذبه﴾** في الدنيا بعذاب الدنيا **﴿ثم يرد إلىٰ ربه﴾** في مرجعه **﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾** إلىٰ قوله: **﴿وسنقول له من أمرنا يسراً * ثم أتبع سبباً﴾**».

قال عليه السلام: «إنّ ذا القرنين لما انتهىٰ مع الشمس إلىٰ العين الحامية وجد الشمس تغرب فيها، فلما انتهىٰ معها إلىٰ مطلع الشمس سببا **﴿وجدها تطلع علىٰ قوم﴾** إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿بما لديه خبرا﴾**. فقال أمير المؤمنين: إنّ ذا القرنين ورد علىٰ قوم قد أحرقتهم الشمس

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٨.

وغيّرت أجسادهم وألوانهم حتىٰ صيرتهم كالظلمة...»[١].

وروىٰ العياشي أيضاً في تفسيره عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تغرب الشمس في عين حامية في بحر دون المدينة التي مما يلي المغرب».

وروىٰ الثقة علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: سألته عن قول الله تعالىٰ: ﴿**يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً**﴾ قال: «إن ذا القرنين بعثه الله تعالىٰ إلىٰ قومه فضرب علىٰ قرنه الأيمن، فأماته الله خمسمائة عام، ثم بعثه الله إليهم بعد ذلك فضرب علىٰ قرنه الأيسر فأماته الله خمسمائة عام ثم بعثه إليهم بعد ذلك فملّكه مشارق الأرض ومغاربها من حيث تطلع الشمس إلىٰ حيث تغرب فهو قوله تعالىٰ: ﴿**حتىٰ إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة**﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**عذاباً نكراً**﴾ قال: في النار[٢].

وروىٰ الزمخشري في كشافه عن أبي ذر قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ جمل فرأىٰ الشمس حين غابت، فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب هذه؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّها تغرب في عين

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.
٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

حامية[١].

وروى العياشي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**لم نجعل من دونهما ستراً**﴾ قال: لم يعلموا صنعة البيوت[٢].

هل كان ذو القرنين نبياً أم لا؟

لقد اختلف المفسرون والمؤرخون في نبوة ذي القرنين فمنهم من قال إنه نبي، ومنهم من قال إنه ليس بنبي بل هو عبد صالح.

وفيما يلي نستعرض أدلة المثبتين لنبوته، وأدلة النافين لها بصورة مفصلة:

أولاً: أدلة المثبتين لنبوته:

لقد استدل القائلون بنبوة ذي القرنين بالكتاب والسنة:

أما من الكتاب فهناك عدة شواهد على نبوته:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**إنّا مكنّا له في الأرض**﴾ قال فخر الدين الرازي: الأولى حمله على التمكين في الدين والتمكين الكامل في

---

١ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٥٨١.
٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٢٠٦.

الدين هو النبوة.

٢ ـ قوله تعالىٰ: ﴿**وآتيناه من كل شيء سبباً**﴾ قال الرازي: ومن جملة الأشياء النبوة فمقتضىٰ العموم في الآية هو أنّه تعالىٰ آتاه من النبوة سبباً.

أقول: إنّ هاتين الآيتين لا تثبتان نبوته عند أكثر المفسرين من الفريقين، وذلك لأنّ إثبات نبوته يحتاج إلىٰ تنصيص وتخصيص، وأما تعمق الجري وراء العمومات لاستفادة مثل ما أفاده فخر الدين الرازي فغير مقنع.

٣ ـ قوله تعالىٰ: ﴿**قلنا يا ذا القرنين**﴾: وهذه الآية من أقوىٰ الشواهد التي استدل بها المفسرون علىٰ نبوة ذي القرنين، وقالوا: إنّ أمر الله تعالىٰ لا يعلم إلّا عن طريق الوحي وهو لا يجوز إلّا علىٰ الأنبياء والآية ظاهرة في الدلالة علىٰ نبوته، وقد ادعىٰ بعض المفسرين أنّ هذه الآية أظهر في الدلالة علىٰ نبوة ذي القرنين من دلالة قوله تعالىٰ: ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾ علىٰ نبوة الخضر عليه السلام، لأنّ الذي يتكلم الله معه من غير واسطة أو بواسطة الوحي فهو يدل دلالة واضحة علىٰ أنه نبي، وأما أنّ المراد من قوله تعالىٰ: ﴿**قلنا يا ذا القرنين**﴾ أنّه خاطبه علىٰ ألسنة بعض الأنبياء في عصره فهو عدول عن الظاهر[1].

---

١ ـ أنظر مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٩، ومفاتيح الغيب: ج ٥، ص ٥٢٦، =

وأما من السنة فها هنا روايتان:

الأولىٰ: عن عبد الله بن عمر قال: «ذو القرنين نبي»(١).

الثانية: روىٰ العياشي في تفسيره بسنده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلّا أربعة بعد نوح عليه السلام: ذو القرنين واسمه عياش، وداود، وسليمان، ويوسف عليهم السلام، فأما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأما داود فملك ما بين الشامات إلىٰ بلاد اصطخر، وكذلك ملك سليمان، وأما يوسف فملك مصر وبراريها، لم يجاوزها إلىٰ غيرها»(٢).

وقد علق الشيخ الصدوق علىٰ هذه الرواية بقوله: «... جاء الخبر هكذا، والصحيح الذي أعتقده في ذي القرنين أنه لم يكن نبياً، وإنّما كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصحه الله...»(٣).

أقول: لا يمكن الاعتماد علىٰ هذه الرواية في اثبات نبوة ذي القرنين وذلك لورود روايات صحيحة في خلافها، فلابد حينئذ من تأويلها بما يوافق الروايات المخالفة وإلّا طرحت لشذوذها.

= وإرشاد العقل السليم بهامش مفاتيح الغيب: ج ٥، ص ٥٧٢، وروح المعاني: ج ١٦، ص ٣٩.

١ ـ تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٣، وفتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٩.

٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٨١.

٣ ـ الخصال: ص ٢٢٦.

وقد أكدت بعض المصادر نبوة ذي القرنين، فقد قال الثعلبي في مجالسه: الصحيح أنه كان نبياً غير مرسل [١].

وقال مقاتل: إنّه نبي لأنّ الله أوحىٰ إليه لقوله تعالىٰ: ﴿**قلنا يا ذا القرنين**﴾، والوحي للأنبياء [٢].

وقال عكرمة: كان ذو القرنين نبياً مرسلاً إلىٰ أهل بابل [٣].

وقد ذكره الشيخ محمد رضا الغراوي رحمه الله في كتابه «لب اللباب» في جملة الأنبياء [٤].

ثانياً: أدلة النافين لنبوته:

لقد استدل القائلون بعدم نبوة ذي القرنين بالكتاب والسنة:

أما من الكتاب فقد استدلوا بآيتين علىٰ عدم نبوته:

الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿**قلنا يا ذا القرنين**﴾.

قال بعض المفسرين: إنّ هذه الآية الشريفة لاتدل علىٰ نبوة ذي القرنين، وذلك لأنّ قوله تعالىٰ أعم من الوحي المختص بالنبوة، فربما

---

١ ـ عرائس المجالس: ص ٢٠١.
٢ ـ أخبار الدول: ج ١، ص ٢٣٠.
٣ ـ بدائع الزهور: ص ١١٨.
٤ ـ لب اللباب: ج ١، ص ٢٠.

يستعمل قوله تعالىٰ في الإبلاغ بواسطة الوحي كما في قوله تعالىٰ: ﴿**قلنا يا آدم**﴾، وقد يستعمل قوله تعالىٰ في الإلهام الذي ليس من النبوة كقوله تعالىٰ: ﴿**وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ أن أرضعيه**﴾، وربما دلت الآية علىٰ أنّ مكالمته كانت بتوسط نبي كان موجوداً في زمانه[1].

أقول: ويحتمل أن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**قلنا ياذا القرنين**﴾ أي ألهمنا، لأنّ الإلهام ينوب عن الوحي كما في قوله تعالىٰ: ﴿**وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ**﴾ أي ألهمناها.

وقد صرح بهذا المعنىٰ بعض المفسرين منهم ابن مسعود البغوي في كتابه «معالم التنزيل» حيث قال: «الأصح أنه لم يكن نبياً والمراد (الإلهام) وقد وافقه علىٰ هذا التأويل الخازن في تفسيره»[2].

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿**فسوف نعذبه ثم يرد إلىٰ ربه**﴾.

إن هذه الآية تدل دلالة واضحة لا تقبل الشك والإيهام علىٰ أنّ الخطاب السابق وهو قوله تعالىٰ: ﴿**قلنا ياذا القرنين**﴾ لم يكن بطريق التكلم من غير واسطة أو بواسطة الوحي، وإنما كانت مقاولته إما عن طريق الإلهام أو بواسطة ملك من الملائكة أو بواسطة نبي في زمانه.

وقد دل علىٰ عدم نبوته مجموعة من الروايات المعتبرة من

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٩٠، والميزان: ج ١٦، ص ٣٦١.
٢ ـ معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن: ج ٤، ص ١٨٦.

طرق الفريقين :

الرواية الأولىٰ: عن الطبري في تفسيره عن أبي الطفيل قال: سأل ابن الكواء علياً عن ذي القرنين، فقال: هو عبد أحب الله فأحبه، وناصح الله فنصحه[١].

الرواية الثانية: عن الصفار في بصائر الدرجات بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «... أما بلغكم أنّ علياً سئل عن ذي القرنين، فقيل كان نبياً، قال: لا بل كان عبداً أحب الله فأحبه ونصح لله فنصحه فهذا فيكم مثله»[٢].

الرواية الثالثة: عن الشيخ الصدوق في العلل عن الاصبغ بن نباتة قال: قام ابن الكواء إلىٰ علي عليه السلام وهو علىٰ المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟

فقال له علي عليه السلام: «لم يكن نبياً ولا ملكاً... ولكنه عبد أحب الله فأحبه، ونصح لله فنصح الله له...»[٣].

الرواية الرابعة: عن الشيخ الصدوق بسنده عن أبي بصير عن

---

١ ـ تفسير الطبري: ج ١٦، ص ٨ ـ ٩.
٢ ـ البرهان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٤٩٢.
٣ ـ هذه الرواية مروية بطرق عديدة. أنظر: علل الشرائع: ج ١، ص ٣٩، وبحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٨٠.

أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ ذا القرنين لم يكن نبياً لكنه عبد صالح أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله...»(١).

الرواية الخامسة: ما في تفسير العياشي عن أبي الطفيل قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «إنّ ذا القرنين لم يكن نبياً ولا رسولاً وإنّما كان عبداً أحبّ الله فأحبه وناصح الله فنصحه»(٢).

الرواية السادسة: عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده...»(٣).

الرواية السابعة: عن ابن عباس قال: «كان ذو القرنين ملكاً صالحاً رضي الله عمله وأثنى عليه في كتابه، وكان منصوراً، وكان الخضر وزيره»(٤).

الرواية الثامنة: عن علي بن إبراهيم في تفسيره عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: «لا نبياً

---

١ ـ إكمال الدين: ص ٣٧٣، وهذه الرواية مروية في عدة مصادر. أنظر: بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٤.
٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٦.
٣ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٤.
٤ ـ تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٤، والبداية والنهاية: ج ٢، ص ١٠٣.

ولا ملكاً بل عبداً أحب الله فأحبه ونصح الله فنصح له...»[١].

الرواية التاسعة: عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه سئل عن ذي القرنين فقال: «هو ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب»[٢].

الرواية العاشرة: عن الشيخ الصدوق في الخصال باسناده عن محمد بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ملك الأرض كلها أربعة مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود، وذو القرنين، وأما الكافران نمرود، وبخت نصر»[٣].

وروىٰ ابن قتيبة في المعارف: أنه ملك الأرض مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود، وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود، وبخت نصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس[٤].

أقول: وهذا الخامس هو الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الذي سيظهر في آخر الزمان ويملك الأرض فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وذكر الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص أنه ثلاثة من الأنبياء

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٢٧٨.
٢ ـ سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٣٢٨، وفتح القدير: ج ٣، ص ٢٩٩.
٣ ـ الخصال: ص ٢٣٢.
٤ ـ المعارف: ص ٣٤، وتاريخ الخميس: ج ١، ص ١٤.

ملوك: يوسف، وداود، وسليمان، وأما الكافران، فنمرود بن كوش بن كنعان، وبخت نصر[١].

ويرىٰ الشيخ الصدوق أنّ ذا القرنين لم يكن نبياً وإنّما كان عبداً صالحاً وفي ذلك يقول: «... وذو القرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبي كما كان طالوت ملكاً، قال الله عزوجل: ﴿**وقال لهم نبيهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً**﴾ وقد لا يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبي، كما لا يجوز أن يذكر في جملة الملائكة من ليس بملك، قال جل ثناؤه: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس كان من الجن**﴾»[٢].

وقال ابن إسحاق: إنّه لم يجتمع ملك الأرض علىٰ ملك واحد إلّا علىٰ ثلاثة ملوك: نمرود، وذي القرنين، وسليمان بن داود عليهم السلام[٣].

وقال الكلبي: ملك الأرض أربعة نفر: برّان وفاجران، فالبران: سليمان بن داود، وذو القرنين، والفاجران: نمرود بن كنعان صاحب إبراهيم، وبخت نصر، واسمه نبوخذ نصر بن سنحاريب بن كيحسري[٤].

---

١ ـ الاختصاص: ص ٢٦٥.

٢ ـ الخصال: ص ٢٢٦.

٣ ـ تاريخ الطبري: ج ١، ص ٢٣٣.

٤ ـ المحبر: ص ٣٩٣.

وقال ابن قتيبة: إن ذا القرنين لم يكن نبياً[١].

وقال الديار بكري: الأصح الذي عليه الأكثرون أنّه كان ملكاً صالحاً عادلاً وأنه بلغ أقصىٰ المغرب والمشرق والشمال[٢].

وقال الآلوسي في تفسيره: الجمهور علىٰ أنّه ليس بنبي[٣].

النتيجة:

أولاً: أنّ ذا القرنين لم يكن نبياً ولا رسولاً بنص الروايات التي ذكرناها آنفاً، وأما قوله تعالىٰ: ﴿**قلنا ياذا القرنين**﴾ لا يدل علىٰ أنّه نبي، ولعل الأولىٰ في تأويل قوله تعالىٰ أن يكون القول إما بواسطة ملك من الملائكة أو بواسطة الإلهام أو بواسطة نبي في زمانه.

ثانياً: لقد أكدت الروايات الصحيحة الواردة من طرق الفريقين أنّ ذا القرنين كان ملكاً عادلاً صالحاً، ووليّاً من أولياء الله الصالحين جعله الله تعالىٰ حجة علىٰ عباده، وأثنىٰ عليه في كتابه، ورضىٰ قوله وأفعاله.

ثالثاً: ومما يدل علىٰ أنّ ذا القرنين لم يكن رسولاً ولا نبياً قول

---

١ ـ المعارف: ص ٥٤.
٢ ـ تاريخ الخميس: ج ١، ص ١٠١.
٣ ـ روح المعاني: ج ١٦، ص ٢٨.

أمير المؤمنين عليه السلام في رواية: «فهذا فيكم مثله» وفي رواية أخرىٰ: «وفيكم من هو علىٰ سنته»، ويقصد أمير المؤمنين عليه السلام بذلك نفسه لأنه ضرب علىٰ رأسه ضربتين: إحداهما يوم الخندق، والأخرىٰ ضربة ابن ملجم (لعنه الله).

وزيادة علىٰ ذلك وجدت أثناء المطالعة والبحث علىٰ روايات تصور لنا التشابه بين الأئمة عليهم السلام وذي القرنين في بعض الخصائص والشؤون وهي أبلغ في الدلالة علىٰ أنّ ذا القرنين لم يكن نبياً أو رسولاً البتة.

وفيما يلي نذكر طائفة من هذه الروايات:

روىٰ العياشي في تفسيره عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عن أبي عبد الله جميعاً قال لهما: ما منزلتكم؟ ومن تشبهون ممن مضىٰ؟ قالا: «صاحب موسىٰ وذي القرنين كانا عالمين، ولم يكونا نبيين»[1].

وروىٰ الشيخ المفيد بسنده عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما موضع العلماء؟ فقال: «مثل ذي القرنين وصاحب سليمان، وصاحب موسىٰ»[2].

---

١ ـ هذا الحديث مروي بطرق عديدة. أنظر: أصول الكافي: ج ١، ص ٢٦٩، وبحار الأنوار: ج ١، ص ١٩٧.

٢ ـ الاختصاص: ص ٣٠٩.

وروىٰ الشيخ المفيد بسنده عن حمران بن أعين قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنّ علياً كان محدثاً، فخرجت إلىٰ أصحابي، فقلت: جئتكم بعجيبة، قالوا: ما هي؟ قلت: سمعت أبا جعفر يقول: كان علي عليه السلام محدثاً[١]، فقالوا: ما صنعت شيئاً ألا سألته من يحدثه فرجعت إليه، فقلت له: إني حدّثت أصحابي بما حدثتني، فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من يحدثه؟ فقال لي: يحدثه ملك، فقلت: فتقول نبي؟ فحرك يده هكذا[٢]، فقال: «أوكصاحب سليمان أوكصاحب موسىٰ أوكذي القرنين، أوما بلغكم أنه قال: وفيكم مثله»[٣].

أقول: يعتقد الشيعة الإمامية أنّ أئمتهم عليهم السلام محيطون بالعلوم الإلهية، والإمام لا يوحىٰ إليه لأنّ الوحي من جميع جهاته منقطع بعد النبي صلى الله عليه وآله بإجماع الأمة، ولكن العقيدة تقول إن الله يعلم الإمام بوسائل عديدة منها: «الإلهام، والملك المحدث له، والنكت في القلب، والنقر في الأذن، والرؤيا في المنام» وقد صح كل ذلك بالروايات الصحيحة والأسانيد القوية.

---

١ ـ المحدث: هو الذي يسمع كلام الملائكة ولا يراهم ولا يأتيه في المنام وإنما ينقر في أذنيه وينكت في قلبه. الاختصاص: ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

٢ ـ أي حركها إلىٰ الفوق نفياً لقوله: «إنه نبي».

٣ ـ الاختصاص: ص ٢٧٨، أما قوله عليه السلام: «وفيكم مثله» أي وفيكم من يضرب علىٰ قرنه مرتين كما ضرب ذو القرنين علىٰ قرنه مرتين، وقد عنىٰ بذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

أما ذو القرنين فقد أعلمه الله تعالىٰ بطرق ووسائل منها «الإلهام، والملك المحدث» فقد روىٰ العياشي عن جبرائيل بن أحمد في حديثه بأسانيد عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «... كان ذو القرنين عبداً صالحاً وكان من الله بمكان، ونصح له، وأحب الله فأحبه، وكان قد سبّب له في البلاد، ومكّن له فيها حتىٰ ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة.. ينزل إليه فيحدثه ويناجيه...»[1].

ومن خلال ما ورد يتضح لك جلياً بأنّ ذا القرنين لم يكن نبياً، وإنّما هو عبد صالح وولي ناصح مسدد من قبل الله تبارك وتعالىٰ.

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٢٠٠.

الفصل الثالث

قوته ومعجزاته

بناؤه السد علىٰ يأجوج ومأجوج

مساحة السد

موقع السد

أوصاف السد

مناقشة بعض الأقاويل

ذاة ذي القرنين

قوته ومعجزاته:

كان ذو القرنين عبداً مأموراً من قبل الله عزوجل فأعطاه من القوة ما يمكنه من قهر أعدائه ودك حصونهم وقلاعهم وقد سخر ذو القرنين هذه القوة الموهوبة في حروبه ومسيره في الأرض حتىٰ بلغ بها المشرق والمغرب في زمن قياسي.

وقد ذكرت بعض الروايات خصائص هذه القوة ونوعيتها، فقد روىٰ الشيخ المفيد بسنده عن عبد الرحيم القصير قال: ابتدأني أبو جعفر، فقال: «أما أن ذا القرنين قد خير بين السحابتين، فاختار الذلول، وذخر لصاحبكم[1] الصعب، فقلت: وما الصعب؟ فقال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق، فصاحبكم يركبه أما أنه سيركب السحاب، ويرقىٰ في الأسباب أسباب السموات السبع والأرضين السبع: خمس عوامر، واثنان خرابان»[2].

وروىٰ الشيخ الصدوق في الإكمال بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة علىٰ عباده... وأن الله عزوجل مكن له في الأرض وآتاه

---

١ ـ ويقصد به الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف.
٢ ـ الاختصاص: ص ١٩٩، وبحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

من كل شيء سبباً، وبلغ المشرق والمغرب وأنّ الله تبارك وتعالىٰ سيجري سنته في القائم من ولدي، ويبلغه شرق الأرض وغربها حتىٰ لا يبقىٰ سهل ولا موضع من سهل ولا جبل وطئه ذو القرنين إلّا وطئه، ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها، وينصره بالرعب ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١].

وروىٰ الشيخ محمد بن الحسن الصفار بسنده عن أبي عبد الله قال: «إنّ الله خيّر ذا القرنين السحابتين الذلول والصعب، فاختار الذلول وهو ما ليس فيه برق ولا رعد، ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك لأنّ الله ادخره للقائم عليه السلام»[٢].

وروىٰ الصدوق بإسناده عن سماك بن حرب بن حبيب قال: أتىٰ رجل علياً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين، فقال له علي عليه السلام: «سخرت له السحاب، وقربت له الأسباب، وبسط له النور، وكان يبصر بالليل كما يبصر بالنهار»[٣].

وروىٰ العياشي عن حارث بن حبيب قال: أتىٰ رجل علياً عليه السلام، فقال له: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين، فقال له: «سخّر له

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٥.
٢ ـ البرهان: ج ٣، ص ٣٨٢.
٣ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٤.

السحاب، وقربت له الأسباب، وبسط له في النور» فقال له الرجل: كيف بسط له في النور؟ فقال علي عليه السلام: «كان يبصر بالليل كما يبصر بالنهار، ثم قال علي عليه السلام للرجل: أزيدك فيه؟» فسكت[١].

وروىٰ الشيخ الصدوق في الإكمال عن رجل من بني أسد قال: سأل رجل علياً: أرأيت ذا القرنين كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب؟ قال: «سخر الله له السحاب، ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء»[٢].

وروىٰ الشيخ الصدوق أيضاً بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ ذا القرنين لم يكن نبياً لكنه كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله، وناصح الله، فناصحه الله، وأمر قومه بتقوىٰ الله فضربوه علىٰ قرنه، فغاب عنهم زماناً، ثم رجع إليهم، فضربوه علىٰ قرنه الآخر، وفيكم من هو علىٰ سنته، وأنّه خيّر السحاب الصعب والسحاب الذلول، فاختار الذلول فركب الذلول، وكان إذا انتهىٰ إلىٰ قوم كان رسول نفسه إليهم لكيلا يكذب الرسل»[٣].

وروىٰ الثقة علي بن إبراهيم في تفسيره عن أمير المؤمنين في

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٨.
٢ ـ الخرائج والجرائح: ص ٢٨٧.
٣ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٤.

حديث طويل إلىٰ أن قال: «فسار ذو القرنين إلىٰ ناحية المغرب، فكان إذا مر بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق يهلك من ناواه وخالفه، فلم يبلغ مغرب الشمس حتىٰ دان له أهل المشرق والمغرب... وذلك قول الله عزوجل: **﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا﴾** أي دليلاً»[1].

بناؤه السد علىٰ يأجوج ومأجوج:

روي أنّ ذا القرنين عندما وصل إلىٰ مشارف بلاد يأجوج ومأجوج استقبلته الأمم المجاورة لبلادهم بكل حفاوة واحترام، وعندما رأوا من أسباب القوة التي كان يتمتع بها ذو القرنين أجمعوا أمرهم علىٰ أن يستغيثوا به من شر يأجوج ومأجوج فقالوا له: يا ذا القرنين إنه قد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان والقوة، وما أيدك به من جنود أهل الأرض ومن النور والظلمة، ونحن جيران يأجوج ومأجوج، وهم خلف هذين الجبلين، وهم مفسدون في الأرض، وليس لهم طريق إلينا إلّا من هذين الجبلين وهم خلق كثير فيهم مشابهة للانس لا يعلم عددهم إلّا الله، وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلّا ونحن نتوقع أن تطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين، ولو مالو علينا لأجلونا من بلادنا، ونحن لا نقدر علىٰ دفع عاديتهم، أو صدّ هجومهم،

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٩.

فهل نجعل لك خرجاً من أموالنا نؤده إليك في كل عام علىٰ أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟

فقال لهم ذو القرنين: لا حاجة بي إلىٰ أموالكم، فإنّ الله أعطاني من المكنة ما لا حاجة معها إلىٰ نقودكم، ولكن ساعدوني بالآلة والرجال حتىٰ أجعل بينكم وبينهم سداً يقيكم بأسهم[1].

وعندما استجاب ذو القرنين لطلب هؤلاء الأمم، قام بالتخطيط والإعداد لبناء هذا السد، فروي أنّ أول عمل قام به ذو القرنين في هذا الصدد هو قياس المسافة الفاصلة ما بين الجبلين، ثم أمر العمال بحفر أساس عميق لإقامة السد عليه، فقام العمال بحفر الأساس حتىٰ بلغ الحفر إلىٰ الماء وعندما انتهىٰ العمال من حفر الأساس، أمرهم ذو القرنين بأن يأتوه بزبر الحديد، ويطرحوه في الأساس المحفور حتىٰ يسدوا به ما بين الجبلين فقام العمال بما أمرهم ذو القرنين بأن يجعلوا قطع الحديد الكبيرة بعضها فوق بعض ويتخللها الحطب والوقود حتىٰ بلغ ارتفاع تراكم قطع الحديد قمم الجبلين، ثم وضعت المنافيخ الضخمة علىٰ مواضع من السد الحديدي، ثم أمر العمال أن ينفخوا بالنار علىٰ قطع الحديد المتراكمة فيما بين الجبلين، فنفخوا فيها حتىٰ

---

١ ـ القصد والأمم: ص ٣٩، وآثار البلاد: ص ٥٩٦، وتفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٤٢، والدر المنثور: ج ٤، ص ٢٤٣، وأخبار الدول: ج ١، ص ٤٥٣، ودستور العلماء: ج ٣، ص ٤٨٠.

صار الحديد مثل النار ثم أمرهم بأن يصب القطر وهو النحاس علىٰ الحديد المتوهج، فاختلط به والتصق بعضه ببعض وصار كله كتلة واحدة وأصبح سداً حديدياً صلداً[١].

وفي رواية الشعبي: أنّ ذا القرنين أمر بالحديد فأذيب، واتخذ منه لبناً عظاماً وأذاب النحاس، واتخذه ملاطاً لذلك اللبن، وبنىٰ به الفج الذي كان يدخل منه يأجوج ومأجوج، فسواه مع قلتي الجبل[٢].

وفي رواية: أنّ ذا القرنين جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج باباً من نحاس وحديد فحال بينهم وبين الخروج[٣].

وعلىٰ هذا يعتبر ذو القرنين أول إنسان بنىٰ سداً من حديد علىٰ وجه الكرة الأرضية[٤] والله العالم.

سؤال: عندما أمر ذو القرنين العمال بأن ينفخوا بالمنافيخ علىٰ قطع الحديد الضخمة لابد وأن تنبعث من هذا الحديد المشتعل حرارة شديدة لا يمكن للبشر أن يتحملها فكيف حافظ العمال علىٰ سلامتهم من هذه الحرارة المنبعثة من الحديد المشتعل؟

---

١ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٤٩٩، وغرائب القرآن: ج ٢، ص ٥٠٠، وبحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٩.
٢ ـ آثار البلاد: ص ٥٩٦.
٣ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٨.
٤ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٩.

أقول: لهذا السؤال عدة أجوبة:

منها: ما احتمله بعض العلماء أنّ الله تبارك وتعالىٰ صرف تأثير تلك الحرارة الشديدة المنبعثة من الحديد المشتعل عن أبدان العمال علىٰ نحو المعجزة كما صرفها عن نبينا إبراهيم الخليل عليه السلام.

ومنها: أنّ العمال استخدموا أدوات وأساليب خاصة تقيهم حرارة النار كما في أيامنا هذه حيث يستعمل عمال الأفران الحرارية ملابس خاصة تمنع من وصول الحرارة إلىٰ أجسامهم.

ومنها: يحتمل أن يكون العمال بعيدين عن موقع اشتعال الحديد لمسافة بحيث لا تؤثر فيهم الحرارة المنبعثة من الحديد المشتعل، والله العالم.

مساحة السد:

لقد اختلفت المصادر في مساحة السد الذي بناه ذو القرنين فبعضهم يرىٰ أنّ ارتفاع السد يبلغ مائتي ذراع، وعرضه خمسون ذراعاً، وطوله فرسخ[1].

والبعض الآخر يرىٰ أنّ ارتفاع السد يبلغ مائتي ذراع وخمسين

---

١ ـ تاريخ الخميس: ج ١، ص ١٠٣، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٤٩٥، روح المعاني: ج ١٦، ص ٤١.

ذراعاً، وطوله مائة فرسخ، وعرضه خمسون فرسخاً[١].

وروي أنّ طول السد يبلغ مائة فرسخ[٢].

أقول: إنّ أرقام مساحة السد التي ذكرها المؤرخون فيها شيء من المبالغة ولست أدري كيف تم لهم قياس مساحة السد؟ والله عالم بحقائق الأمور.

موقع السد:

لقد اختلف المفسرون والمؤرخون في موقع السد الذي بناه ذو القرنين إلىٰ أقوال عديدة وإليك بعضاً من تلك الأقوال:

قيل: إنّ موضع السد في منقطع أرض الترك من المشرق[٣].

وروي عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: الجبلان من قبل أرمينية وأذربيجان[٤].

---

١ ـ أخبار الدول: ج ١، ص ٢٣٠.
٢ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٤٩٩، وأخبار البلاد: ص ٥٩٦، وغرائب القرآن: ج ٢، ص ٥٠٠، والفرسخ ثلاثة أميال أي ما يساوي خمسة كيلومترات ونصف الكيلو تقريباً.
٣ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٤٩٨، ومفاتيح الغيب: ج ٥، ص ٥٢٧، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٦٩٨.
٤ ـ زاد المسير: ج ٥، ص ١٨٥، الجامع لأحكام القرآن: ج ١١، ص ٥٥، =

وقيل: إنّ هذا السد يقع وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط(١).

وقيل: إنّ السد الذي بناه ذو القرنين يقع وراء جيحون من عمالة بلخ واسمه الباب الحديدي بمقربة من مدينة ترمذ(٢).

وقيل: إنّ السد يقع على الطريق الموصل بين سمرقند والهند.

وقال الرازي في تفسيره: الأظهر أنّ موضع السد في ناحية الشمال(٣).

وقال البيروني: إنّ السد يقع في الربع الشمالي الغربي من الأرض(٤).

وقيل: إنّ السد هو حائط الصين(٥).

أقول: إنّ حائط الصين بناه أحد أباطرة الصين وهو عبارة عن سور مبني من الحجارة يحتوي على قلاع صغيرة على امتداده وهو

= تاريخ الخميس: ج ١، ص ١٠٣.

١ ـ مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٩٥.

٢ ـ تفسير المراغي: ج ١٦، ص ١٥.

٣ ـ مفاتيح الغيب: ج ٥، ص ٥٢٧.

٤ ـ الآثار الباقية: ص ٤١.

٥ ـ الميزان: ج ١٦، ص ٣٨١.

بهذه المواصفات لا ينطبق علىٰ سد ذي القرنين الذي استخدم في بنائه الحديد والنحاس.

وقيل: إنّ السد يقع بالقرب من باب الأبواب علىٰ طريق الدربند في مضيق جبل القوقاز[1].

أقول: وهذا السد أيضاً عبارة عن سور مبني من الصخور بناه كسرىٰ أنوشروان علىٰ ما هو المشهور، وقيل: اسفنديار، ويمتد هذا السور من جوف بحر الخزر علىٰ مقدار ميل من جبل القبخ، ومده في أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحو من أربعين فرسخاً إلىٰ أن ينتهي إلىٰ قلعة يقال لها «طبرستان» وجعل علىٰ كل ثلاث أميال منه باباً من حديد، ووضع عليها الحرس.

وأما سبب بنائه لهذا السور الضخم هو لدفع عاديات الترك وغارات الأمم المتصلة بذلك الجبل.

وهذا السور أيضاً لا ينطبق مع مواصفات سد ذي القرنين.

وقال القاسمي في تفسيره: والراجح أنّ السد كان موجوداً بإقليم داغستان بين مدينتي دربند وخوزار، فإنه يوجد بينهما مضيق شهير منذ القدم يسمىٰ عند الكثير من الأمم القديمة والحديثة

---

١ ـ مروج الذهب: ج ١، ص ١٧٦، وروح المعاني: ج ١٦، ص ٣٧.

بـ (السد) وبه موضع يسمىٰ «باب الحديد» وهو أثر سد حديدي قديم بين جبلين من جبال القوقاز الشهيرة عند العرب بجبل «قاف»[١].

أقول: هذه هي أشهر الأقوال في تحديد مكان السد والله العالم.

أوصاف السد:

لقد ذكر بعض المفسرين والمؤرخين أوصافاً عديدة للسد الذي بناه ذو القرنين:

فعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنه جاء إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: كيف رأيته؟ قال: رأيته كالبرد المحبر، وطريقة سوداء، وطريقة حمراء، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قد رأيته[٢].

وحكىٰ البيروني أنّ صاحب أذربيجان أيام فتحها وجه إنساناً إلىٰ السد من ناحية الخزر فشاهده ووصفه بأنّه باسق سام أسود وراء خندق وثيق منيع[٣].

---

١ ـ تفسير القاسمي: ج ١١، ص ٤١٤.
٢ ـ تفسير الطبري: ج ١٦، ص ١٧، البداية والنهاية: ج ٢، ص ١١١، وبدائع الزهور: ص ١٢٠.
٣ ـ الآثار الباقية: ص ٤١.

قال صاحب كتاب «نخبة الدهر»: من المباني العجيبة العظيمة سد ذي القرنين الذي بناه علىٰ يأجوج ومأجوج وصفته علىٰ ما حكاه أحمد بن سهل البلخي: «أن مكانه جبل أملس مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً، وفي جنبي الوادي عضادتان مبنيتان عرض كل عضادة خمس وعشرون ذراعاً، وكل ذلك بلبن من حديد ونحاس، وعلىٰ العضادتين درواند من حديد طرفاه في العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً وفوق الدروند بناء بذلك اللبن المغموس في الحديد المغموس في النحاس إلىٰ رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر، وفوق ذلك شرفات من حديد في طرف كل شرفة قرنان ينثني كل واحد منهما إلىٰ صاحبه وبين العضادتين باب من حديد بمصراعين كل مصراع خمسون ذراعاً في خمسة أذرع وعلىٰ الباب قفل طوله خمسة أذرع.. وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعاً في تركيبه، وعتبة الباب عشرة أذرع بطول مائة ذراع سوىٰ ما تحت العضادتين، وطول كل لبنة ذراع ونصف مثله، .. وجعل ذو القرنين علىٰ السد حراساً وتماثيل من حديد ونحاس، كأمثالهم ولهم خوار يسمع من بعيد، وله ترتيب محكم مثل ترتيب الحرس، وهو محيط بيأجوج ومأجوج[1].

ومن الأخبار المشهورة التي صورت لنا السد بصورة دقيقة هو

---

١ ـ نخبة الدهر: ص ٣١ ـ ٣٢.

خبر سلام الترجمان وقد حكاه غير واحد من المؤرخين.

فعن عبد الله بن خرذابة قال: حدثني سلام الترجمان أنّ الواثق بالله لما رأىٰ في منامه كأن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج قد انفتح، فطلب رجلاً يخرجه إلىٰ الموضع فيستخبر خبره، فقال: أشناس ما هاهنا أحد يصلح الا سلام الترجمان وكان يتكلم بثلاثين لساناً، قال: فدعىٰ بي الواثق، وقال: أريد أن تخرج إلىٰ السد حتىٰ تعاينه وتجيئني بخبره، وضم إليّ خمسين رجلاً شباباً أقوياء، ووصلني بخمسة آلاف دينار، وأعطاني ديتي عشرة آلاف درهم، وأمر فأعطىٰ كل رجل من الخمسين ألف درهم ورزق سنة، وأمر أن يهيأ للرجال اللبابيد، وتغشىٰ بالأديم، واستعمل لهم اللستبانات بالفراء، والركب الخشب، وأعطاني مائتي بغل لحمل الزاد والماء والعلف، فشخصنا من سر من رأىٰ بكتاب من الواثق بالله إلىٰ إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية وهو بتفليس في انفاذنا، وكتب لنا إسحاق إلىٰ صاحب السرير، وكتب لنا صاحب السرير إلىٰ ملك اللان، وكتب لنا ملك اللان إلىٰ فيلان شاه وكتب لنا فيلان شاه إلىٰ طرخان ملك الخزر، فأقمنا عند ملك الخزر يوماً وليلة حتىٰ وجه معنا خمسة أدلاء فسرنا من عنده ستة وعشرين يوماً، فانتهينا إلىٰ أرض سوداء منتنة الرائحة، وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلا نشمه من الرائحة المنكرة فسرنا فيها عشرة أيام، ثم صرنا إلىٰ مدن خراب، فسرنا فيها عشرين

يوماً فسألنا عن حال تلك المدن فخبرنا أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها فخربوها.

ثم صرنا إلىٰ حصون بالقرب من الجبل الذي شعبة منه السد، وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤن القرآن لهم كتاتيب ومساجد، فسألونا من أين أقبلنا؟ فأخبرناهم أنا رسل أمير المؤمنين الواثق بالله، فأقبلوا يتعجبون ويقولون: أمير المؤمنين، فنقول: نعم، فقالوا: شيخ هو أم شاب؟ قلنا: شاب، فعجبوا أيضاً، فقالوا: أين يكون؟ فقلنا: بالعراق في مدينة يقال لها سر من رأىٰ، فقالوا: ما سمعنا بهذا قط.

وبين كل حصن من تلك الحصون إلىٰ الحصن الآخر فرسخ إلىٰ فرسخين أقل أو أكثر، ثم صرنا إلىٰ مدينة يقال لها ايكة تربيعها عشرة فراسخ، ولها أبواب حديد يرسل الأبواب من فوقها، وفيها مزارع وأرجاء داخل المدينة، وهي التي كان ينزلها ذو القرنين بعسكره بينها وبين السد مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين السد حصون وقرىٰ حتىٰ تصير إلىٰ السد في اليوم الثالث، وهو جبل مستدير ذكروا أن يأجوج ومأجوج فيه، وهما صنفان ذكروا أنّ يأجوج أطول من مأجوج، ويكون طول أحدهم ما بين ذراع إلىٰ ذراع ونصف أو أقل أو أكثر.

ثم صرنا إلىٰ جبل أملس عال عليه حصن، والسد الذي بناه ذو

القرنين هو فج بين الجبلين عرضه مائتا ذراع وهو الطريق الذي يخرجون منه فيتفرقون في الأرض، فحفر الأساس ثلاثين ذراعاً إلىٰ أسفل، وبناه بالحديد والنحاس حتىٰ ساقه إلىٰ جهة الأرض ثم رفع عضادتين مما يلي الجبل من جنبي الفج عرض كل عضادة خمس وعشرون ذراعاً في سمك خمسين ذراع الظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب، وكل بناء بلبن من حديد مغيب في نحاس تكون اللبنة ذراعاً ونصفاً في ذراع ونصف في سمك أربعة أصابع ودروند حديد طرفاه علىٰ العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً قد ركب علىٰ العضادتين علىٰ كل واحدة بمقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع.

وفوق الدروند بناء بذلك اللبن الحديد في النحاس إلىٰ رأس الجبل وارتفاعه مد البصر يكون البناء فوق الدروند نحو من ستين ذراعاً وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرفة قرنتان تنثني كل واحدة منهما علىٰ الأخرىٰ طول كل شرفة خمسة أذرع في عرض أربعة أذرع، وعليه سبع وثلاثون شرفة، وذا باب حديد مصراعين معلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمس وسبعين ذراعاً في ثخن خمسة أذرع، وقائمتاهما في دوارة علىٰ قدر الدروند يدخل من الباب، وعلىٰ الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع الاستدارة والقفل لا يحتضنه رجلان، وارتفاع القفل عن الأرض خمسة وعشرون ذراعاً فوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول

القفل وقفيزاه كل واحد منهما ذراعان وعلىٰ القفل مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنتا عشرة دندانكة في صفة دستج الهواويين، واستدارة المفتاح أربعة أشبار، والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق، وعتبة الباب عرضها عشرة أذرع في بسط مائة ذراعاً سوىٰ ما تحت العضادتين، والظاهر منها خمسة أذرع، وهذه الذراع كلها بالذراع السوداء.

ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما مائتي ذراع في مائتي ذراع، وعلىٰ باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين عين عذبة، وفي أحد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد من قدور الحديد والمغارف الحديد وأربعة قدور مثل قدور الصابون، وهناك بقية من اللبن الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ ورئيس تلك الحصون يركب في كل يوم اثنين وخميس، وهم يتوارثون ذلك الباب كما يتوارث الخلفاء الخلافة يجيء راكباً ومعه ثلاثة رجال علىٰ عنق كل رجل مرزبة ومع الباب درجة فيصعد علىٰ أعلىٰ الدرجة فيضرب القفل ضربة في أول النهار فيسمع لهم جلبة مثل كور الزنابير ثم يخمدون، فإذا كان عند الظهر ضربه ضربة أخرىٰ ويصغي بإذنه إلىٰ الباب فتكون جلبتهم في الثانية أشد من الأولىٰ، ثم يخمدون فإذا كان وقت العصر ضرب ضربة أخرىٰ فيضجون مثل ذلك، ثم يقعد إلىٰ مغيب الشمس، ثم ينصرف من قرع القفل أن يسمع من وراء الباب فيعلموا أنّ هناك

حفظة، ويعلم هؤلاء أنّ أولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً أو بالقرب من هذا الموضع حصن كبير يكون عشرة فراسخ في عشرة فراسخ تكسيرة مائة فرسخ.

قال سلام: فقلت لمن كان بالحضرة من أهل الحصون: هل عاب من هذا الباب شيء قط؟ قالوا: ما فيه إلا هذا الشق والشق كان بالعرض مثل خيط دقيق، فقلت: تخشون عليه شيئاً؟ فقالوا: لا إنّ هذا الباب ثخنه خمسة أذرع بذراع الاسكندر يكون ذراعاً ونصف بالاسود كل ذراع واحدة من ذراع الاسكندر.

قال: فدنوت وأخرجت من خفي سكيناً فحككت موضع الشق، فأخرجت منه مقدار نصف درهم وشددته في منديل لأريه الواثق بالله.

وعلىٰ فرد مصراع الباب الأيمن في أعلاه مكتوب بالحديد باللسان الأول: (فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقاً).

ونظرنا إلىٰ البناية، وأكثره مخطط ساف أصفر من نحاس، وساف أسود من حديد، وفي الجبل محفور الموضع الذي صب فيه الأبواب وموضع القدور التي كان يخلط فيها النحاس، والموضع الذي كان يغلي فيه الرصاص والنحاس، وقدور شبيهة بالصفر لكل قدر ثلاث عرىٰ فيها السلاسل والكلاليب التي كان يمد بها النحاس إلىٰ فوق السور.

وسألنا من هناك: هل رأيتم يأجوج ومأجوج؟ فذكروا أنهم رأوا مرة عدداً فوق الجبل، فهبت ريح سوداء، فألقتهم إلىٰ جانبهم، وكان مقدار الرجل في رأي العين شبراً ونصفاً، والجبل من الخارج ليس له متن ولا سفح، ولا عليه نبات ولا حشيش ولا شجرة، وهو جبل قائم أملس أبيض.

فلما انصرفنا أخذ الأدلاء بنا إلىٰ ناحية خرسان، وكان الملك يسمىٰ اللب، ثم خرجنا من ذلك الموضع، وصرنا إلىٰ موضع ملك يقال له طبانوين، وهو صاحب الخراج، فأقمنا عندهم أياماً وسرنا من ذلك الموضع حتىٰ وردنا سمرقند في ثمانية أشهر، وعبرنا نهر بلخ، ثم صرنا إلىٰ بخارىٰ وإلىٰ ترمذ، ثم وصلنا إلىٰ نيسابور، ومات من الرجال الذين كانوا معنا، ومن مرض منهم في الذهاب اثنان وعشرون رجلاً، ومن مات منهم دفن في ثيابه، ومن مرض خلفناه مريضاً في بعض القرىٰ ومات في المرجع أربعة عشر رجلاً، فوردنا نيسابور، ونحن أربعة عشر رجلاً.. ثم صرنا إلىٰ عبد الله بن طاهر، فوصلني بثمانية آلاف درهم، ووصل كل رجل معي بخمسة مائة درهم، وأجرىٰ للفارس خمسة دراهم، وللراجل ثلاثة دراهم في كل يوم إلىٰ الري، ولم يسلم من البغال التي كانت معنا إلّا ثلاثة وعشرون بغلاً، ووردنا سر من رأىٰ فدخلت علىٰ الواثق، فأخبرته بالقصة، وأريته الحديد الذي حككته من الباب، وكان وصولنا إلىٰ السد في ستة عشر شهراً، ورجعنا

في اثني عشر شهراً وأيام»[١].

مناقشة بعض الأقاويل:

لقد أنكر بعض المفسرين وجود السد لحد الآن بحجج واهية ومزاعم لا تركن إلىٰ دليل وإليك بعض أقوالهم في ذلك:

قال صاحب تفسير الكاشف: «إن سد يأجوج ومأجوج قد ذهب مع الأيام لأنه لو كان اليوم لبان وظهر»!!

وقال صاحب تفسير الميزان متسائلاً: «أين هذا السد المشيد بالحديد ومن صنعته أنه يحبس أمة كبيرة منذ ألوف السنين من تهجمها علىٰ سائر الأقطار، ولا مخرج لهم إلىٰ سائر الدنيا دون السد المضروب دونهم وقد ارتبطت اليوم بقاع الدنيا بعضها ببعض بالخطوط البرية والبحرية والجوية، فأي معنىٰ لبقاء قوم محبوسين عن الدنيا بسد بين جبلين؟!».

أقول: يمكن مناقشة هذين القولين من عدة وجوه:

الوجه الأول: إنّ سد يأجوج ومأجوج لا يزال باقياً لحد الآن في

---

١ ـ المسالك والممالك: ص ١٦٣ ـ ١٧٠، والآثار الباقية: ص ٤١، وأخبار البلاد: ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨، والبداية والنهاية: ج ٢، ص ١١١، ومراصد الاطلاع: ج ١، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

مكان مجهول لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم، ولاشك أنّ في بقائه حكمة إلهية كما قال تعالىٰ: ﴿**فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً**﴾.

الوجه الثاني: إنّ السد الذي بناه ذو القرنين فيه من القوة والمتانة بحيث لا يستطيع يأجوج ومأجوج مع قوتهم وشدة بأسهم أن ينقبوه أو يصعدوا إليه كما في قوله تعالىٰ: ﴿**فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً**﴾، وبذلك لا يستطيع يأجوج ومأجوج أو غيرهم أن يخترقوا السد بأي حال من الأحوال.

الوجه الثالث: أنّ خروج يأجوج ومأجوج لا يكون إلّا بانهيار السد كلياً وذلك متوقف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء**﴾.

الوجه الرابع: إننا لم نعثر علىٰ رواية معتبرة أو نص تاريخي موثوق يدل علىٰ خروج يأجوج ومأجوج في زمن من الأزمنة ! حتىٰ يمكن أن نقول بأنّ السد قد ذهب مع الأيام وانقرض.

الوجه الخامس: أما من زعم بأن يأجوج ومأجوج هم المغول والتتر فهو قول غير صحيح البتة لعدم الدليل عليه وإنّما هو مبني علىٰ قياسات وظنون لا تغني من الحق شيئاً.

الوجه السادس: لاشك أنّ السد موجود في مكان ما من الأرض

لم يلتفت إليه أحد أو لم يخطر على بال أحد من الناس ولكن لا يعرف مكانه لحد الآن، فكم في الأرض من أسرار ومجاهيل لم يكتشفها العلم الحديث لحد الآن.

وأما دعوى استقراء كافة البراري والبحار والقفار فغير مسلم به إطلاقاً.

وأما عدم وجدان السد فلا يستلزم عدم وجوده بالمرة فتأمل.

الوجه السابع: الذي أحتمله أنّ سد يأجوج ومأجوج قد تلطف لحكمة إلٰهية بحيث لا يمكن لأحد أن يراه أو يرىٰ يأجوج ومأجوج، كما هو الحال في أصحاب الكهف، فإنّه لحد الآن لم يعرف أحد من الناس مكان هذا الكهف، ومصير أصحابه، فإذا قلنا إنّ السد غير موجود فكذلك الكهف وأصحابه غير موجودين!

وفاة ذي القرنين:

لقد اختلف المؤرخون في قبر ذي القرنين والمكان الذي مات فيه فقد ذكر الاصفهاني أنّ ذا القرنين مات في بيت المقدس[١].

وقال البيروني: إنّ ذا القرنين رجع إلىٰ العراق ومرض بشهرزور ومات بها[٢].

وقيل: إنّه مات في نصيبين[٣] من ديار ربيعة وكان مرضه الرعاف[٤].

وقيل: إنه لما مات حمل إلىٰ أمه بالاسكندرية بمصر وله قبر مشهور[٥].

أقول: المشهور عند المؤرخين أنّ الذى دفن فى مصر هو الاسكندر وليس ذي القرنين الذي ذكره الله في كتابه.

---

١ ـ الأخبار الطوال: ص ٣٩.
٢ ـ الآثار الباقية: ص ٣٧.
٣ ـ نصيبين: وهي مدينة عامرة علىٰ طريق القوافل بينها وبين سنجار تسعة فراسخ. معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٨٨.
٤ ـ أخبار الدول: ج ١، ص ٢٣٣.
٥ ـ مروج الذهب: ج ١، ص ٢٩٢.

وقيل: إنّه مات في دومة الجندل[١]، وكان بها منزله وأقبر فيها[٢].

وقيل: إنّ ذا القرنين مات بالعراق، ولم يحدد الموضع الذي مات فيه ولا القبر الذي دفن فيه[٣].

وقيل: إنّ ذا القرنين مات في ناحية السواد في موضع يقال له «شهرزور»[٤] بعد أن غزا الصين[٥].

وقيل: إنّ ذا القرنين عندما رجع من المشرق ووصل إلىٰ أرض العراق فغلب عليها وعلىٰ من بها من القبائل من ولد نوح عليه السلام حتىٰ أجابوه، ثم سار يريد أرض تهامة، والحج بمكة، فلما صار بموضع من أرض العراق يقال له «الحنو»[٦] مرض مرض الموت، وأحس بدنو

---

١ ـ دومة الجندل: هو عبارة عن موضع فاصل بين الشام والمدينة قرب جبلي طي علىٰ ثلاثة عشر مرحلة من المدينة. معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٨٧.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٤٩، وعرائس المجالس: ص ٣٧٠.

٣ ـ الخطط المقريزية: ج ١، ص ٢٤٧.

٤ ـ شهرزور: وهي كورة واسعة الجبال بين أربل وهمذان، وأهل المدينة كلهم أكراد. معجم البلدان: ج ٣، ص ٣٧٥.

٥ ـ الأنس الجليل: ج ١، ص ٥٤.

٦ ـ الحنو: بالكسر ثم السكون والواو المعربة: وهو كل منعرج من الجبال والأودية، وقيل: كل شيء منعرج فهو حنو، وللعرب يوم حنو ذي قار، وهو حنو قراقر، ويقع قرب مدينة ذي قار. معجم البلدان: ج ٢، ص ٣١٢، =

أجله فلما أيقن بالموت ونعيت إليه نفسه أعلم بذلك وزيره الخضر عليه السلام، فقال له الخضر: يا ذا القرنين انقضى الأمل وحان الأجل وبقي العمل وقد وعدك الله وعداً والله متم وعده.

ذو القرنين في الشعر العربي:

لقد ذكر شعراء العرب ذا القرنين في قصائدهم الشعرية وذكروا فيها مآثره وصولاته وبطولاته وسياحته وبناءه السد على يأجوج ومأجوج وغير ذلك، وهذه الأشعار أبلغ في الدلالة على أنّ ذا القرنين كان عربياً، وفيما يلي نذكر بعض المقطوعات الشعرية:

١ ـ قال قس بن ساعدة الايادي:

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى ... ان الزمان يطيق نتف جناحي
فاراه اسرع في حتى اصبحت ... بيضا متون عوارضي وصفاحي
وأنا الكبير بسنه في قومه ... هيهات كم راوحت من أرواح
صافحت ذي جدن وأدرك مولدي ... عمرو بن شمر يتقى بالراح
والقيل ذو يزن رأيت محمله ... بالقصر بين مرامر الصفاح
فتك الزمان بملك حمير فتكة ... يسعى بكل مساء وكل صباح

= ومراصد الاطلاع: ج ١، ص ٤٣٢.

أودىٰ أبـــو كـــرب وعـــمر قـبله وأبـــاد مـــلك أذيـــنة الصـــباح

وأبـــاد افـــريقيس بـعد مـقامه بـــالمغرب المســـتقرب الفـياح

والصعب ذو القـرنين أصبح ثـاوياً بـــالحنو بـــين مـــلاعب الأرواح

لا تأمـــنن مكـــر الزمـــان فـإنه أودىٰ الزمـــان بشـــمر الصـــباح

شخصت علىٰ بعد النوىٰ أشخاصهم فـــرآهـــم الاوهـــاج والأشـــباح

أفـبعد أمـلاك مـضوا مـن حـمير أرجـو الفـلاح ولات حـين فـلاح

٢ ـ وقال طرفة بن العبد:

كـيف يـرمي المـرء دهـراً مـخلدا وأيـــامه عـــما قـــليل تـحاسبه

ألم تـر لقـمان بـن عـاد تـتابعت عـليه نسـوراً ثـم غـارت كـواكـبه

وللصعب أسباب تـجلت خـطوبها أقـــام زمـــاناً ثـم بـادت مـطالبه

إذا الصعب ذو القـرنين ازجـا لواءه إلىٰ ملك سـاسان فـقامت نـوادبـه

يسير بوجه الحتف والعيش جمعه وتمضي عـلىٰ وجـه البـلاد كـتائبه

٣ ـ قال أبو سالم الربيع بن ضبع بن وهب من بني ذبيان، وكان معمراً عمر مائتي عام، وكـان أحكـم العـرب فـي زمـانه وأشـعرهم، وأخطبهم، وقيل: إنّه جمع بني ذبيان وخطب فيهم خطبة في مكارم الأخلاق، ثم نعىٰ إليهم نفسه وأنشأ يقول:

لقـد عـزفت نـفسي عـن اللـهو وإن نـهلت مـن لهـوها ثـم عـلت

رأيت قـروناً بـعد قـرن تـقدمت فـلم يـبق إلّا ذكـرها حـين ولت

ألا أيـن ذو القـرنين أيـن جـموعه لقـد كـثرت أسـبابه ثـم مـلت

إلىٰ أن قال:

وكانت عـلىٰ الأيـام نـفسي عـزيزة فلما رأت عزمي عـلىٰ الأمـر ذلت

هي النفس مـا مـنيتها تـاق شـوقها وإلّا فـــنفس أيست فـتسلت

٤ ـ وقال امرؤ القيس الكندي:

ألم يـــحزنك الدهـــر غـــول خـــتور العـــمد يـلتهم الرجـالا

أزال مـــن المـــصادر ذا القـرنين وقـــد مـلك الـسهولة والجـبالا

هـــمام طـــحطح الآفـاق وحـيا وقـــاد إلىٰ مشـــارقها الرعـــالا

سـد بـحيث تـرقىٰ الشـمس سـدا ليأجـــوج ومأجـــوج الجـــبالا

٥ ـ قال النعمان بن الأسود الحميري يرثي ذا القرنين:

بـــحنو قـــراقـر أمســىٰ رهـينا أخـــو الأيـــام والدهـــر الهـجان

لئـن أمسـت وجـوه الدهـر سـوداً جـــلبن بـذاك للـملك اليـماني

لقـد صـحب الردىٰ الفـين عـاما ولاقـــاه الحـــمام عـــلىٰ ثـمان

وجـــاوزت العـقيق بأرض هـند إلىٰ القـــنوات والنـخل الدوانـي

هـناك الصـعب ذو القـرنين ثـاو بـــطن تـــنوفه الحـنوين عـاني

فمن صـحب الزمـان بـغير صـعب لقـد صـحب الزمـان بـلا أمـان

فـــقل للـــنازلين بكـــل أرض لكـــم أمـن عـلىٰ بـعد ودانـى

٦ ـ قال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي:

فـــمواكـذي القـرنين نعرف فـضلكم

بـــه ان فـــي العـــلم المـــبين شـافيا

لنـــا الشـرق والغـرب احـتيالا وقـوة

فأبـــقىٰ لنـــا مـجدا بـه الدهـر بـاقيا

بـــنىٰ دون يأجـــوج ومأجـوج إذ رأىٰ

فســـادهم ردماً لدىٰ الســـد راســـيا

دعـــــا إذ أتـــاه بـــالحديد فـــلزّه

ولائـــم بـــالقطر المـــذاب المسـاييا

فـــما قـــدروا أن يـــنقبوه بـــحيلة

ولا وجـــدوا فـــيه لرجـــل مـــراقـيا

فـــقد ســـار عـــرض الأرض قـــدما

ومـاكـان فـيها واهـن البـطش واهـيا

فـــنودي لمـــا ســـار والشـــمس خـــلفه

علىٰ الماء ذاالقرنين قف واحف طافيا

فـقد جئت حـد الأرض والظـلمة التي

مـــررت بـــما تـــهوىٰ عـلىٰ المـاء مـاشيا

وكان اسمه فـي قـومه الصـعب لم يكـن

له اســـم ســـواه يســـتحق المـــماريا

٧ ـ قال أسعد بن ملكي لحرب بن تبع الأكبر بن تبع الأقرن:

قد كان ذو القرنين جدي قـد أتـىٰ طـرف البـلاد مـن المكـان الأبـعد

فرأىٰ مـغار الشـمس عـند غـروبها فـي عـين ذي خـلب وتأط حـرمد

وبـنىٰ عـلىٰ يأجـوج حـين أتـاهم ردماً بـــــناه إذ أتـــاه مـــخلد

ودعـــا بـقطر قـد أُذيب فـصبه مـــا بـــينه وكـذا بـناء المـحفد

ملك المشـارق والمـغارب يبتغي أسـباب مـلك مـن حكـيم مـرشد

٨ ـ وقال حسان بن ثابت وهو يفتخر بذي القرنين ومسيره في البلاد وبناءه السد علىٰ يأجوج ومأجوج:

لنا ملك ذي القرنين هل نال ملكه من البشـر المـخلوق خـلق مـصور

بواتـر يـتلو الشـمس عـند غـروبها ليـنظرها فـي عـينها حـين يـدخر

ويسمو إليها حيث تطلع غدوة فليمحها في برجها حين يظهر

وأوصد سداً من حديد أذابه ولياً رقياً دائماً ليس يفتر

رمىٰ فيه يأجوج ومأجوج عنوة إلىٰ يوم يدعىٰ للحساب وينشر

٩ ـ وقال النعمان بن بشير الأنصاري وهو يفتخر بقديم قحطان:

وإني أنا النعمان أمسيت بارزا ليعرفني في الناس من هو عالم

ومن سبأ أصلي وفرعي ومحتدي تنازعني منها الجدود الأكارم

لنا من قحطان سبعون تبعاً أطاحت لها بالخرج منها الأعاجم

إلىٰ أن قال:

فمن ذا يعادينا من الناس معشر كرام فذو القرنين منا وحاتم

ونحن بنينا سدّ يأجوج فاستوىٰ بأيماننا هل يعدم السد هادم

١٠ ـ بن حجر الكندي فر من المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة يوم طلبه فاستجار بالمعلىٰ بن تميم بن ثعلبة الطائي فمنعه عنه فأنشأ أمرؤ القيس يقول:

فما ملك العراق علىٰ المعلىٰ بمقتدر ولا الملك الشام

أسد نشاص ذي القرنين حتىٰ تولىٰ عارض الملك الهمام

١١ ـ عندما حكّم بنو عبس وبنو ذو بيان الربيع بن ضبع قام فيهم خطيباً في سوق عكاظ، وخطب خطبته حثهم على الصلح وحقن الدماء ثم أنشأ يقول:

على حرج يا عبس أضحى أخوكم وبت على أمر بغير جناح
حذار حروب الأقربين إنه ليأتي أفتلاتا وجه كل صباح
أخاك أخاك أن من لا أخ له كساع إلى الهيجاء بغير سلاح
لنا عظة في الذاهبين وعبرة تفيد ذوي الألباب أمر صلاح
ألم تعلموا ما حاول الصعب مدة وما أصبح الساعي وآل ذراح
فصل بعد ذي القرنين ملك مخلد وهل بعد ذي الملكين يوم فلاح

فاصطلح القوم على حكمه.

١٢ ـ وقال زيد بن مالك بن أدد:

عمراً وجاوزت المئين الاربعا وسُلبت أسباب الشبيبة أجمعا
ولحقت أيام الجديس وحربها طمساً سنيه ما حالنا لعلعا
والصعب ذو القرنين كنت جده خذنا وزرت أباه طفلاً مرضعا
ولقيت لقمان بن عاد حاملاً بقوارع الأحقاف نسراً ميفعا

ولقد شهدت في الزمان عجائباً من شا اباها أو يسمعا

فليأتني مستخبراً فأنا الذي أفنت ليالية القرون التبعا

١٣ ـ قال تبع أبي الكرب قصيدة طويلة في مدح ملوك حمير نذكر منها قوله:

وأقام ذو القرنين فيه حجه فمتىٰ تراه له المقاول تسجد

وان كان ذي القرنين جدي مسلما يبغي علوماً من كريم مرشد

فلقد أذل الصعب صعب زمانه وأناط قوة عزه بالفرقد

حكم الأمور وأحكمت أيامه تجري إلىٰ أجل ولما يقصد

لم يدفع المقدور عنه قوة عند المنون ولا اتلاف المحتد

١٤ ـ وقال علقمة بن ذي جدن في رثائه:

أين الذي بلغ المشارق كلها ومغارب الأرض التي تعمر

وبنى عطائ يأجوج ردماً رصه بالقطر لم ينقب ولما يظهر

فتناولته منية قصدت له فأجابها ومضىٰ كأن لم يذكر

١٥ ـ وقال ابن أبي ذؤيب الخزاعي:

ومنا الذي في الخافقين تغربا واصعد في البلاد وصوبا

وفـي ردم يأجـوج بـنىٰ ثـم نـصبا فقدنال قرن الشمس شـرقاً وغـربا

بـعسكر مـوت يُـحصىٰ فـتحسبا وذلك ذو القـرنين مـن آل قـحطان

١٦ ـ قيل: إن ذا القرنين لما وصل إلىٰ حـنو قـراقـر مـن أرض العراق مرض مرضاً شديداً فلما رأىٰ الموت وأيقن به ونعيت نـفسه جعل يخاطب نفسه قائلاً:

لا يـــطمئن إلىٰ الزمـــان وريـبه مـــن كـــان لم يـعهد عـليه خـلودا

لوىٰ بـــحمير المـــقعقع بـــعده وأبـــاد عـــاداً قـــبله وثـــمودا

يـاصعب حـقاً كـل شـيء هـالك إلّا الإله الواحـــــد المـــــعبودا

أعـــطيت مـــا لم يـــعط قـبلي وجـمعت جـمعاً كـالدبا مـحشودا

وقـصدت آفـاق الغـروب بـقدري فـوجدت نـحساً عـندها وسـعودا

فـــهديت مـــنها مـؤمناً ذا هـمة وقســرت مـنها كـافراً وجـحودا

ورأيت عين الشمس عند سقوطها ووردت أمـــواج المـحيط ورودا

وبـــلغت أعـلام المشـارق كـلها أبـــغي لمـا أبـغي لهـن حـدودا

فـوطئت يأجـوج ومأجـوج بـها وبـنيت قـصراً دونـها وحـديدا

فـجعلت مـن سـربيها مـندوحة والفـــج عـن صـدفيها مـعقودا

وولجت من الظلمات حتىٰ جبتها خـــوفاً وكـان رتـاجها مـحدودا

ولقيت تحت الشمس قوماً خـلتهم تـحت الظـلام خـنازراً وقـرودا

وعـلوت فـي الدنـيا بعزة قـاهر أكـــدت فـــيها للـسبقا تأكـيدا

حاولت أن أعطى الخـلود لأرتـقى فى الخـافقين إلىٰ الـسماء صعودا

فأبـــــىٰ الله الذي أمـــــلته أمسىٰ المنىٰ به أمد ليس مـحدودا

فـالحنو للـصعب المـعبهل يـومه أمســـىٰ بـه أمـد ليس مـحدودا

سيموت من تنسىٰ المـنية يـومه وتـنال بـنت الدهـر مـنه بـعيدا

* * *

قصص ونوادر:

١ ـ يحكىٰ أنّ ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق علىٰ وجهه، فبينما هو يسير وجنوده إذ مر علىٰ شيخ يصلي، فوقف عليه بجنوده حتىٰ انصرف عن صلاته، فقال له ذو القرنين: كيف لم يروعك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك، وأعز سلطاناً، وأشد قوة ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبله.

فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي، فأواسيك بنفسي، وأستعين بك علىٰ بعض أمري؟

قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول، وصحة لا سقم فيها، وشباباً لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها.

فقال له ذو القرنين: وأي مخلوق يقدر علىٰ هذه الخصال.

فقال الشيخ: فإني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك.

٢ ـ وحكي أنّ ذا القرنين مرّ برجل عالم، فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عزوجل قائمين، وعن شيئين جاريين، وشيئين مختلفين، وشيئين متباغضين.

فقال له ذو القرنين: أما الشيئان القائمان فالسماوات والأرض، وأما الشيئان الجاريان فالشمس والقمر، أما الشيئان المختلفان فالليل والنهار، وأما الشيئان المتباغضان فالموت والحياة.

فقال: انطلق فإنك عالم.

فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتىٰ مرّ بشيخ يقلب جماجم الموتىٰ فوقف عليه بجنوده، فقال له: أخبرني أيها الشيخ لأي شيء تقلب هذه الجماجم؟

قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغني من الفقير، فما عرفت، وإني لأقلّبها منذ عشرين سنة.

فانطلق ذو القرنين وتركه، فقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري[1].

٣ ـ بينما ذو القرنين يسير في الأرض إذ وقع إلىٰ الأمة العالمة... الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، فلما رآهم قال لهم: أيها القوم أخبروني بخبركم فإني مثلكم، فأخبروني ما بال قبور موتاكم علىٰ أبواب بيوتكم؟

قالوا: فعلنا ذلك لئلا ننسىٰ الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا.

قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٥ ـ ١٩١.

قالوا: ليس فينا لص ولا ظنين وليس فينا إلّا أمين.

قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟

قالوا: لا نتظالم.

قال: فما بالكم ليس بينكم حكّام؟

قالوا: لا نختصم.

قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟

قالوا: لا نتكاثر.

قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟

قالوا: من قبل إنا متواسون متراحمون.

قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟

قالوا: من قبل وألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا.

قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتلون؟

قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وقوينا أنفسنا بالحلم.

قال: فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟

قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً.

قال: فأخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟

قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية.

قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟

قالوا: من قبل الذل والتواضع.

قال: فلم جعلكم الله عزوجل أطول الناس أعماراً؟

قالوا: من قبل أنا نتعاطي الحق ونحكم بالعدل.

قال: فما بالكم لا تقحطون؟

قالوا: من قبل أنا لا نغفل عن الاستغفار.

قال: فما بالكم لا تحزنون؟

قالوا: من قبل أنا وطنا أنفسنا على البلاء فعزّينا أنفسنا.

قال: فما بالكم لا يصيبكم الآفات؟

قالوا: من قبل لا نتوكل على غير الله عزوجل، ولا نستمطر بالأنواء والنجوم.

قال: فحدثوني أيها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟

قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم، ويواسون فقيرهم،

ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلىٰ من أساء إليهم، ويستغفرون لمسيئهم ويصلون أرحامهم، ويؤدون أمانتهم ويصدقون ولا يكذبون، فأصلح الله بذلك أمرهم(١).

٤ ـ روىٰ الشيخ الصدوق عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة علىٰ عباده، فدعا قومه إلىٰ الله عزوجل، وأمرهم بتقواه، فضربوه علىٰ قرنه، فغاب عنهم زماناً حتىٰ قيل: مات أو هلك بأي واد سلك؟ ثم ظهر ورجع إلىٰ قومه فضربوه علىٰ قرنه الآخر، ألا وفيكم من هو علىٰ سنته، وأن الله عزوجل مكّن له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وبلغ المشرق والمغرب، وأنّ الله تبارك وتعالىٰ سيجري سنته في القائم من ولدي، ويبلّغه شرق الأرض وغربها حتىٰ لا يبقىٰ سهل ولا موضع من سهل ولا جبل وطئه ذو القرنين إلّا وطئه، ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها وينصره بالرعب، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً(٢).

٥ ـ سئل ذو القرنين وصية من حكيم اجتمع به فقال له: لا تغتم لغد، واعمل في يومك لغدك، وإن أتاك الله من الدنيا سلطاناً فلا تفرح

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٧٦ ـ ١٩٢.
٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

به، وإن صرف عنك فلا تأس عليه، وكن حسن الظن بالله، وضع يدك علىٰ قلبك فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنع بأخيك، ولا تغضب، فإنّ الشيطان أقدر ما يكون علىٰ ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكّنه بالتؤدة، وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأت، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً»[١].

٦ ـ حكي أنّ ذا القرنين مرّ بموكبه العظيم علىٰ بلدة فاستقبله الناس وأعجبوا به إلّا شيخاً، فإنّه لم يلتفت إليه، فقال له ذو القرنين: ما شأنك الناس يعجبون بموكبي، وأنت لا تنظر إليه؟ فقال الشيخ: رأيت ملكاً ومسكيناً ماتا في يوم واحد، ثم انهما بعد أيام تغيرا علىٰ نمط واحد، وفنيت أكفانهما، ولم يتميز الملك علىٰ المسكين في القبر، وما هي إلّا عظام تفرقت، وأوصال تقطعت فلما خرج ذو القرنين من البلد استخلف فيها ذلك الشيخ[٢].

٧ ـ قيل لذي القرنين: ما لنا نراك تعظم أستاذك أكثر من تعظيمك والدك؟ فقال: إنّ والدي سبب حياتي الفانية، وأستاذي سبب حياتي الباقية[٣].

---

١ ـ تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٦.
٢ ـ تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٦.
٣ ـ تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٥٦.

٨ ـ روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير ثم حمله في مسيره ما شاء الله، ثم ركب البحر فلما انتهىٰ إلىٰ موضع منه قال لأصحابه: أنزلوني فإذا حركت الحبل فأخرجوني، فإن لم أحرك الحبل فأرسلوني إلىٰ آخره، فأرسلوه في البحر، وأرسلوا الحبل مسيرة أربعين يوماً، فإذا ضارب يضرب حيث الصندوق ويقول: يا ذا القرنين أين تريد؟ قال: أريد أن أنظر إلىٰ ملك ربي في البحر كما رأيته في البرّ، فقال: يا ذا القرنين، إنّ هذا الموضع الذي أنت فيه مرّ فيه نوح زمان الطوفان فسقط منه قدوم، فهو يهوي في قعر البحر إلىٰ الساعة لم يبلغ قعره، فلما سمع ذو القرنين ذلك حرك الحبل وخرج[1].

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٢٠٦.